مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد السادس رجب - رمضان ١٤٢٤ هـ سبتمبر - نوفمبر ٢٠٠٣ م

- حامية المدينة المنورة وثورة الشريف حسين
- تقاليد الخدمة والشعائر في المسجد النبوي عام ١٢٠٦ هـ/١٧٩١ م
- واجهات المباني التقليدية بالمدينة المنورة : دراسة في التجانس المعماري
- رحلة جوزيف بيتس إلى الحجاز عام ١٠٩١ هـ/١٦٨٠ م
- أثر العادات الغذائية في البنية الجسدية للشباب

  طلاب وطالبات المعهد الصحي بالمدينة المنورة نموذجاً

حامية المدينة المنورة وثورة الشريف حسين

مريم فريح المهوس

ماجستير في التاريخ الحديث

مقدمة وصل التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية الكبرى إلى أوجه في مطلع القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) ، حيث انقسمت تلك الدول إلى معسكرين كبيرين متنافسين ، يضم المعسكر الأول كلاً من بريطانيا العظمى وفرنسا ، وانضم إليه كل من روسيا وإيطاليا ، وأخيرًا الولايات المتحدة ، أما المعسكر الثاني فيضم كلاً من ألمانيا ومملكتي النمسا والمجر ، وانضمت إليه الدولة العثمانية بعيد قيام الحرب العالمية الأولى في نهاية عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

وقد وجد زعماء المشرق العربي أنفسهم يتلمسون موقعهم في خضم هذه الأحداث ، ويبحثون عن فرصة مواتية للحصول على حقوقهم القومية من العثمانيين ، والتي سبق وأن طرحوها عليهم ونادوا بها ، إلا أنه وصل بهم الأمر إلى اليأس من استجابة قادة الدولة العثمانية الجدد (زعماء الاتحاد والترقي) ، فكان أن التف بعضهم حول أمير مكة الشريف حسين بن علي ؛ الذي كان له طموحات كبيرة نحو الاستقلال في الحجاز ، بعيدًا عن تدخلات السلطة العثمانية ومضايقاتهم له في حكمه .

وكان الحلفاء يحاولون منذ فترة كسب العرب إلى جانبهم في حربهم ضد ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية ، فكان أن انتهى الأمر إلى تحالف الشريف حسين معهم ، وتفجير ثورة عربية في الحجاز ، ونجحت في ضم معظم مدنه ، باستثناء المدينة المنورة وما حولها ، حيث صمدت حاميتها في وجه قوات الشريف ، ورفضت الاستسلام ، واستمرت صامدة عدة شهور بعد أن استسلمت الدولة العثمانية للحلفاء في أوائل عام ١٣٣٧هـ أواخر ١٩١٨م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإذا كانت أحداث ثورة الشريف حسين قد أخذت الكثير من اهتمام الباحثين ، حيث كتب الكثير من الدراسات حولها ؛ فإن أحداث المدينة لم تحظ منهم إلا باهتمام قليل ، بالرغم من تأثيرها الكبير على مجريات أحداث ثورة الشريف نفسها ، وعلى أحداث الحرب العالمية الأولى ، لا سيما في جبهة بلاد الشام .

وفي ضوء ما تقدم ، فإن دراسة هذه المرحلة من تاريخ ثورة الشريف حسين ، وتاريخ الوجود العثماني في الحجاز وانعكاساتها على الوجود العثماني في بلاد الشام يجعل لهذه الدراسة أهمية في تاريخ الحجاز خاصة ، وفي تاريخ المنطقة العربية بصفة عامة فضلاً عن تاريخ المدينة المنورة ، كما يساعد على فهم ثورة الشريف حسين في الحجاز بشكل أفضل .

بدايات المعارك حول المدينة

قبل الخوض في تفاصيل الموقف في المدينة بعد إعلان ثورة الشريف حسين ، لا بد من التعرف على حجم القوة العثمانية في المدينة ، فقد صدرت الأوامر لفخري باشا قائد الفيلق الثامن في بلاد الشام بأن يتوجه إلى المدينة ، حيث أسندت إليه مهمة القيادة العسكرية فيها ، وكانت القوات العثمانية في المدينة مكونة من قوة حرس الحدود ، والقوة الخاصة بمحافظة المدينة ، وقوة المدفعية ، وكتيبة مكونة من قوة المدفعية الصحراوية ، وقوة المدفعية الجبلية وقوة الرشاشة ، وهذه الكتيبة كان مقررًا أن تتوجه إلى اليمن ، إلا أن قيام ثورة الشريف حسين حال دون ذلك ، وتم تعزيز هذه القوات بمجموعة من القطاعات العسكرية التي سحبت من الشام تتكون من الكتيبة ١٣٠ ، وقوة الرشاشة ، وقوة المدافع الجبلية ، يضاف إلى هذه قوات الحاميات المنتشرة حول خط سكة حديد الحجاز[1] ، وكما يظهر ؛ فإن القوات العثمانية في المدينة كبيرة الحجم ، عالية التسليح والتنظيم .

(١) Yatak, Op.cit, S 34-38 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في ظل هذه الظروف بدأت المواجهات والمعارك بين قوات الشريف حسين وقوات الحامية العثمانية ؛ حيث اتجه الأميران علي وفيصل من معسكر (سيدنا حمزة) شمال المدينة إلى آبار علي جنوب غرب المدينة ؛ بهدف جمع الأعوان والأنصار ، وبلغ عدد قواتهما حوالي ستة آلاف رجل ، فكانت أولى المواجهات بين قواتهما وقوات فخري باشا عند بداية الهجوم الذي نفذته قوات الأميرين على محطة المخيط ، غرب المدينة في اليوم المحدد لإعلان الثورة ، الرابع من شعبان ١٣٣٤هـ ، الموافق للخامس من يونيو ١٩١٦م ، ثم استؤنف القتال بين الطرفين في اليوم التالي ؛ حيث هاجمت قوات الأميرين علي وفيصل ضاحية الحسا ، وانتهت المعركة بهزيمة قوات الشريف ؛ بسبب نفاد ذخيرتها[١] ، وتفوق القوات العثمانية عليها عدة وتدريبًا .

بدأت قوات الشريف علي إثر ذلك محاولاتها للاستيلاء على بعض المناطق حول المدينة ، وتمكنت من الاستيلاء على بعض المواقع غرب المدينة ، ونتيجة لذلك فإن فخري باشا قرر التحرك للقضاء على هذه القوات ، ففي يوم ٢٣ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩١٦م هاجم فخري باشا قوات الشريف حسين وانتصر عليها بعد معركة سريعة وخاطفة ، ولم يكتف فخري باشا بما أحرزه من نصر ، بل استمر في مطاردة قوات الشريف إلى أن تمكن من احتلال بير (بئر) الماشي[٢] .

ويصف لورنس المعارك الأولى التي قامت بها قوات الشريف بقيادة الأميرين علي وفيصل بأنها عمل يائس ؛ فقد كانت قواتهما تفتقر إلى الأسلحة الحديثة في وقت كانت فيه القوات العثمانية على درجة جيدة من التسليح ، يضاف إلى ذلك تخلي قبيلة بني علي عن تأييدها لقوات الشريف ، الأمر الذي كان له أثر كبير على نتائج المعارك الأولى حول المدينة[٣] .

---

(١) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠١ .

(٢) نسبة لمن يمشي على قدميه ، قرية تبعد عن المدينة مسافة ٣٨كم جنوبًا . عاتق البلادي ، معجم معالم الحجاز ١٦٥/١ -١٦٦ .

(٣) لورنس ، أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٠٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

انسحبت قوات الأميرين علي وفيصل على إثر ذلك إلى التلال التي بين المدينة والساحل على مقربة من بير (بئر) عباس[١][٢] ، ومنها توجه الأمير علي إلى رابغ حيث عسكر هناك ، أما الأمير فيصل فقد توجه إلى ينبع ؛ لمقابلة (ويلسون) المعتمد البريطاني في جدة ، وطلب منه إمداده بالأسلحة ؛ ليتسنى لقواته مواجهة قوات فخري باشا في ظل ظروف متكافئة[٣] ، وأرسلت السلطات البريطانية إلى قوات الشريف ٢٥٠٠ بندقية ومدفعين جبليين ، ومدفعين مصريين[٤] ، الأمر الذي كان له تأثير على الروح المعنوية لتلك القوات ، إلا أن قوات الشريف لم تحسن الانتفاع بهذه الإمدادات ، وبالتالي انسحب فيصل بقواته إلى ينبع ، وفي أعقاب ذلك تمكنت قوات فخري باشا من السيطرة على جميع الطرق المؤدية إلى ينبع ، أما قوات الأمير علي ، والتي ترابط في رابغ ، فلم تسلم هي أيضًا من الهجوم عليها ، حيث تمكن فخري باشا من عبور مضيق غاير ، وأجبر قوات الأمير علي على الانسحاب إلى رابغ في أوائل شوال ١٣٣٤هـ / آب (أغسطس) ١٩١٦م[٥] .

كما تعرضت قوات الأمير زيد التي كانت ترابط إلى جانب قوات الأمير علي في رابغ منذ ١ ذو القعدة ١٣٣٤هـ / ٣٠ آب (أغسطس) ١٩١٦م[٦] إلى هزيمة كبيرة عند بير سعيد[٧] .

وعانت قوات الشريف حسين من قوات فخري باشا حول المدينة ، مما دفع الشريف حسين إلى الإلحاح في طلب المساعدات العسكرية من السلطات البريطانية ، لا سيما أن الإشاعات قد أخذت تنتشر عن قرب زحف قوات فخري باشا عبر الطريق السلطاني بهدف استرجاع مكة والقضاء على الثورة في مهدها .

(١) بير عباس : نسبة إلى عباس أمير الظواهر ، تقع جنوب المدينة . البلادي ، مرجع سابق ١٦٣/١ .
(٢) لورنس ، مصدر سابق ، ١٠٣ .
(٣) لورنس ، مصدر سابق ، ١٠٤ .
(٤) محمد طاهر الموصلي ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ١٨٠/٢ .
(٥) Yatak, Op.cit, S 64 .
(٦) سليمان موسى ، مذكرات الأمير زيد الحرب في الأردن ١٩١٧ -١٩١٨م ، ص ١٤٩ .
(٧) عبد الله بن الحسين ، مذكرات الملك عبد الله ، ص ١٢٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خطط العثمانيين للزحف إلى مكة

على إثر المعارك الأولى التي جرت بين قوات الشريف وقوات فخري باشا ، ولما حققته القوات العثمانية من انتصارات عديدة أرغمت قوات الشريف على التراجع ، أراد فخري باشا الزحف باتجاه مكة ، وإنهاء ثورة الشريف في مهدها ، ولا سيما أن جزءًا كبيرًا من قوات الشريف منشغل في حصار الطائف الذي لا زال مستمرًا ، وانقسمت القيادة العليا في اسطنبول حيال تنفيذ هذه الفكرة إلى فريقين : فريق يرى ضرورة التريث وعدم الاستعجال في تنفيذ أمر خطير كهذا ، لما سيترتب على تنفيذه من نتائج قد تؤدي إلى تشتيت قوة الجيش الرابع ، الذي كان يستعد للقيام بحملة على قناة السويس ، وعلى رأس هذا الفريق جمال باشا قائد الجيش الرابع .

أما الفريق الثاني والذي يرى ضرورة التقدم نحو مكة واستعادتها ، بالنظر إلى أهمية الحجاز عامة ، ولا سيما مكة في نفوس المسلمين ؛ مما سيكون له الأثر البالغ في نفوسهم ، وعلى رأس هذا الفريق أنور باشا وزير الحربية ، الذي أصدر أوامره إلى جمال باشا بضرورة التقدم نحو مكة[1] ، فما كان من جمال باشا إلا أن تقدم بمطالب جعلها شروطًا لتنفيذ أمر التقدم إلى مكة ، هي :

١ - دعم قوات المدينة بقوات أخرى لتقويتها .

٢ - عزل الشريف حسين وتعيين شريف آخر يكون مواليًا للدولة العثمانية .

٣ - إمداده بالأموال لتغطية مصاريف الحملة بالإضافة إلى مبالغ أخرى لتوزيعها على شيوخ القبائل .

وافق أنور باشا على جميع طلبات جمال باشا ، رغم أنه لم يتمكن من إعداد القوة المناسبة ؛ بسبب الظروف المحيطة بالقوات العثمانية في الجبهات الأخرى ، وأمر بإرسال الكتيبة الخامسة والخمسين التابعة للفرقة الرابعة عشر لتقوية حامية المدينة ؛ لتتمكن من التقدم نحو مكة[2] ، **وكان أنور باشا**

(١) Yatak, Op.cit, S 60 .

(٢) Yatak, Op.cit, S 61 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حريصًا كل الحرص على استعادة مكة ؛ لمكانتها في نفوس المسلمين ، إلا أن عقبات وقفت عائقًا دون التنفيذ ، أهمها :

١ - حاجة القوات إلى عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف من الإبل لتأمين نقل رجال الحملة ومعداتهم إلى مكة .

٢ - بعد المسافة بين مكة والمدينة ، والتي تبلغ (٤٠٠ كم) وصعوبة تأمين المياه اللازمة لهذه القوات .

٣ - أن معظم جنود فخري باشا في حالة من التعب والإعياء بحيث يلزمه إيجاد قوة كافية للقتال في الصحراء الشاسعة .

ورغم الصعوبات التي أشرنا إليها آنفًا فإن أنور باشا أصر على ضرورة التقدم صوب مكة ، إلا أن جمال باشا اقترح تأجيل التقدم إلى مكة لحين انتهاء حملة القناة ، حيث إن القوات العثمانية في وضع لا يسمح لها بالحرب على جبهتين في وقت واحد ، وأكدت القيادة العامة على ضرورة الإسراع في تنفيذ فكرة الزحف إلى مكة ، حتى لا تعطي الفرصة لقوات الشريف حسين بالاستعداد لمواجهة مثل هذا الظرف ، وتركت القرار النهائي لجمال باشا بعد التشاور مع فخري باشا لتحديد الموعد ، وهكذا تم تأجيل التقدم إلى مكة إلى أن يتم فتح طريق ينبع[١] .

استمر فخري باشا في مواجهته مع قوات الشريف حسين في إطار محاولاته الزحف نحو مكة ، حيث تمكن من السيطرة على أحد المواقع المهمة على الطريق السلطاني ، مما أثار قلق الشريف حسين ، ودفعه إلى تكرار طلبه الإمدادات من السلطات البريطانية[٢] .

عزل الشريف حسين وتعيين الشريف علي حيدر شريفًا لمكة

سارعت اسطنبول إلى عزل الشريف حسين ، وتعيين الشريف علي حيدر شريفًا لمكة لمواجهة الثورة ، وبنت آمالاً عريضة على الشريف علي حيدر لإجهاض ثورة الشريف حسين ، والجدير بالذكر أن الشريف علي حيدر من ذوي زيد المنافسين لذوي عون الذين ينتمي إليهم الشريف حسين .

---

(١) Yatak, Op.cit, S 62 .

(٢) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نشأ الشريف علي حيدر في اسطنبول وتلقى تعليمه فيها ، وتزوج بامرأة إنجليزية ، وبالتالي فإنه تأثر بالحياة التركية ، التي تحاكي الحياة الأوربية ، وتعلم لغات عديدة[١] ، كما تقلد مناصب مهمة في الدولة ، حيث عين وكيلاً لمجلس الشيوخ العثماني ، ثم وزيرًا للأوقاف عام ١٣٢٧هـ/١٩١٠م .

وصدر مرسوم بتعيينه شريفاً لمكة مكان الشريف حسين في ٢٨ شعبان ١٣٣٤هـ / ١ تموز (يلويو) ١٩١٦م ، أي بعد إعلان الشريف حسين ثورته في مكة بحوالي أسبوعين ، ومنحته السلطات العثمانية الأوسمة ، وزودته بالأموال لتوزيعها على شيوخ القبائل في محاولة لكسب ولائهم[٢] .

توجه الشريف علي حيدر إلى الحجاز من اسطنبول بقطار خاص ، وأقيمت له مراسم توديع كبيرة ، كان على رأس المودعين طلعت باشا ، أحد زعماء الاتحاديين البارزين ، وتوقف علي حيدر في حلب ، ومنها توجه إلى دمشق ، حيث حل ضيفاً على قيادة الجيش الرابع لبضعة أيام ، ثم غادرها إلى المدينة ، وفي أثناء الطريق كان يحظى باستقبال حافل في محطات القطار قبل وصوله إلى المدينة ، والتي تمثل جزءًا من الحملة الإعلامية التي تقصدها السلطة العثمانية ، وفي ٢٤ رمضان ١٣٣٤هـ / ٢٦ تموز (يوليو) ١٩١٦م وصل الشريف حيدر إلى المدينة ، حيث كان في استقباله فخري باشا ، قائد الحامية في المدينة ، وبصري باشا ، محافظ المدينة ، وعدد من المشايخ[٣] .

وفور وصوله إلى المدينة أصدر بيانًا موجهًا إلى أهل الحجاز ، قال فيه : إن الحجاز لم يتعرض لأي نوع من الاحتلال الأجنبي إلا بعد دخول الشريف حسين حليفاً مع أعداء الدولة العثمانية ، وبذلك وضع البلاد المقدسة تحت سلطة أعداء الإسلام ، وفي ختام بيانه دعا أهل الحجاز إلى البقاء إلى جانب الدولة العثمانية ، وتأييد جيوش السلطان لمقاتلة النصارى الإنجليز المسيحيين ، وتطهير مكة من الكفار . وجاءت وفود من القبائل حول المدينة إلى الشريف علي حيدر معلنة له

(١) Princess Musbah Haidar : Arbesque, P40-56 .
(٢) Yatak, Op.cit, S 56 .
(٣) Yatak, Op.cit, S 57 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولاءها ، وفي مقدمتها حسين باشا ابن مبيريك شيخ رابغ[١] ، وأرسل الشريف علي حيدر رسائل إلى زعماء الجزيرة العربية لاستمالتهم إلى جانبه ، منها رسالة إلى ابن سعود يحثه فيها على الانضمام إلى جانب الدولة ، ومحاربة الشريف حسين بوصف ذلك واجبًا دينيًا .

لم يكن لوصول الشريف علي حيدر إلى المدينة وإقامته فيها أثر يذكر ؛ لأنه لم يحسن استغلال الأموال التي زود بها لاستمالة القبائل[٢] ، وعلى العكس من ذلك ؛ **فإن وجوده في المدينة أصبح عبئًا على قيادة الحامية العثمانية فيها** ، وعلى رأسها فخري باشا ، حيث أخذ يطلب مزيدًا من الأموال ، الأمر الذي جعله على خلاف مع فخري باشا الذي أخذ يتذمر ويشتكي من عدم قيامه بما هو مطلوب منه للقضاء على ثورة الشريف حسين ، فلم يعد لوجوده أي فائدة ، في الوقت الذي كانت فيه حكومة اسطنبول غير راضية عنه ، وأصدرت بيانًا موجهًا لأهل الحجاز دون الرجوع إليه[٣] ، وما لبث الشريف علي أن شعر بنفور السلطة العثمانية منه ، وعلى رأسهم فخري باشا ، وأنه لا يملك أي سلطة أو نفوذ ، **فغادر المدينة متجهًا إلى دمشق بالقطار في ربيع الأول ١٣٣٥هـ / أيار (مايو) ١٩١٧م** ، ولا نعلم إن كان غادر بمحض إرادته أم بأمر تلقاه من اسطنبول[٤] ، وفي دمشق قابل جمال باشا ، قائد الجيش الرابع ، ثم غادرها إلى بيروت حيث استقر فيها ، والتحقت به عائلته قادمة من اسطنبول[٥] ، ويذكر مصدر تركي يعبر عن وجهة نظر فخري باشا بأن عجز الشريف علي حيدر عن استمالة قبائل الحجاز إلى جانبه كان بسبب افتقاره إلى القوات اللازمة للردع والتأديب ، بالإضافة إلى ذلك فإنه يحتاج إلى مزيد من الأموال والذهب ، وبكميات كبيرة حتى يمكنه من إغراء القبائل العربية في مقابل ما تدفعه السلطات البريطانية من أموال استطاعت بها كسب قلوب العرب[٦] .

---

(١) Yatak, Op.cit, S 58 .

(٢) Kiciman, Naci Kasif: Medina Mudfaasi Yahud Hicaz Bizden Nasil?

(٣) Yatak, Op.cit, S 58 .

(٤) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

(٥) Princess Musbah Haidar : Arbesque, P101-105 .

(٦) Yatak, Op.cit, S 55 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلا أن أسباب عجز الشريف علي حيدر فيما أعتقد ترجع إلى كونه يفتقر إلى الخبرة في شؤون القبائل العربية ؛ حيث إنه عاش بعيدًا عن المنطقة العربية ، وبالتالي فإن بُعده عنها لم يمكنه من إقامة علاقات طيبة معها ، وهذا يعني أنه لو استطاع إقامة علاقات طيبة لتمكن من استمالتها بسهولة رغم وجود إغراءات أخرى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن حكومة اسطنبول فقدت ثقتها بالعرب عامة ، لا سيما الأشراف ، **بل الأكثر من ذلك أن الاتحاديين ومن يجاريهم من الأتراك في مشاعرهم أصبحوا ينظرون إلى العرب على أنهم رمز للخيانة** ، وهذا ما يمكن أن يفسر به عدم الانسجام وكثرة الخلافات بين الشريف علي حيدر وفخري باشا قائد حامية المدينة .

ويمكن أن نضيف أن فخري باشا كان مستبدًا برأيه إلى حد كبير ولا يتقبل رأي غيره ، فضلاً عن نصحه مما ولد عدم الانسجام بين الشخصيتين .

الموقف في رابغ

ثارت مخاوف الشريف حسين من إمكانية تقدم القوات العثمانية باتجاه مكة بسلوكها ما يسمى بالطريق السلطاني ، والذي يمر بمحاذاة رابغ[1] ، وبالرغم من أن قوات الشريف حسين تمكنت من انتزاع رابغ وهروب شيخها حسين باشا ابن مبيريك ، إلا أن مخاوف الشريف ازدادت من إمكانية قيام قوات فخري باشا بانتزاع رابغ منه ؛ مما يؤدي إلى قطع الإمدادات البريطانية عنه ، وهذا الأمر جعل الشريف حسين يفكر ببناء خط دفاعي لحماية رابغ من استيلاء قوات فخري باشا عليها ، لذا أخذ يطالب بإمداده بقوات بريطانية لإنزالها في رابغ لتحول دون أي تقدم للقوات العثمانية إلى مكة ، ولذلك قامت لجنة الحرب (War Committee) بمناقشة إمكانية إرسال فرقة عسكرية من الجنود السودانيين تحت قيادة ضباط بريطانيين لصعوبة إنزال قوة مسيحية في رابغ ، وفي ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م عقد المسؤولون البريطانيون مؤتمرًا في الإسماعيلية بمصر لبحث المشاكل التي تعترض سبيل إرسال قوة بريطانية إلى الحجاز لمساعدة

(١) عبد اللطيف الحميد ، الصراع العثماني البريطاني في البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى ، ص ٣٧٦

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قوات الشريف[١] ، إلا أن أمر إرسال قوات بريطانية إلى الحجاز قوبل بمعارضة شديدة ، لا سيما من حكومة الهند البريطانية ، التي كان من رأيها أنه لا يجب إرسال قوات إلى الحجاز للأسباب التالية :

١ - إن هذا العمل سيؤدي إلى غضب مسلمي الهند ، كما يمكن أن يفسر بأنه خرق متعمد لإعلان بريطانيا عدم التدخل في شؤون البلاد المقدسة .

٢ - إن إرسال قوات بريطانية للشريف يعني التزام بريطانيا بالوقوف معه طيلة الحرب ، وأي إخفاق سيؤثر على جبهات الحرب الرئيسية .

٣ - إن اعتماد الشريف على قوات مسيحية سيؤدي إلى وقوف القبائل ضده[٢] .

وقد قوبلت فكرة إنزال قوات بريطانية في الحجاز بمعارضة ؛ ليس من حكومة الهند فحسب ، بل من لورنس (Lawrence) أيضًا ، الذي كتب إلى كلايتون (Calayton) المسؤول عن مكتب الشؤون العربية في القاهرة يقول : إن القبائل يمكن أن تدافع عن رابغ إذا تم إعطاؤهم الأسلحة وقدمت لهم المشورة ، وإن وجود أية قوات أجنبية في الحجاز سوف يؤدي إلى تذمر ومعارضة القبائل ، وبالتالي سوف تفقد الثورة تأييد القبائل لها[٣] .

اتجهت السلطات البريطانية نتيجة للمعارضة الشديدة التي واجهتها فكرة إنزال قوات بريطانية في الحجاز إلى توفير الدعم البحري لميناء رابغ ، لا سيما وأن هناك العديد من العقبات التي تقف حائلاً دون تقدم القوات العثمانية .

كما وافقت في ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٤هـ / ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م على إرسال طائرات للدفاع عن رابغ ، ثم تراجعت عن هذا القرار بسبب عدم الحاجة الملحة إليها .

وألح الشريف حسين في طلب إنزال قوات لدعم الدفاع عن رابغ ، وذكر في برقياته إلى المسؤولين البريطانيين أنه بحاجة لدعم ثلاث فرق من الجنود لدعم قواته في ينبع ورابغ ، وأنه يستعد لتنفيذ خطة لتطويق المدينة من جهاتها كافة ،

---

(١) Scovill: opcit. P 104 .

(٢) Scovill: Ibid, P 112 - Busch, Britan Cooper: Britain India And The Arab (1914-1921) P 171 .

(٣) لورنس ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه الخطة تنص على أن يتقدم الأمير فيصل بقواته من الشمال الغربي ، ويتقدم الأمير علي من الطريق السلطاني ، ويتقدم الأمير عبد الله من طريق الساحل ، وأنه لا سبيل لتنفيذ الخطة دون مساعدة الجنود البريطانيين المدربين ، إلا أن السلطات البريطانية لم تمده بالجنود اللازمين لتنفيذ الخطة ، وأخبر ويلسون - المعتمد البريطاني في جدة - الشريف حسين بأنه لا يمكن توفير جنود مسلمين ؛ لعدم توفر جنود مصريين ، أما بالنسبة للجنود من مسلمي الهند فإنه من الصعب توفيرهم ؛ نظرًا لبعد المسافة بين الهند والحجاز ، وفي هذا الوقت قررت لجنة الحرب البريطانية الاستعانة بالجنود المسلمين الفرنسيين ، على أن يمدهم حاكم عام السودان بما يحتاجون إليه من أسلحة وإمدادات . أما لورنس ، والذي كان قد اجتمع مع الأمير فيصل وعزيز علي المصري لبحث مسألة إنزال قوات بريطانية في رابغ ، فإنه توجه إلى الخرطوم لمقابلة (ونجت) حاكم عام السودان ، وعقد اجتماعًا معه حضره (ويمس) ، وقد أقر في هذا الاجتماع ما يلي :

١ - إن الجيش العربي في حالته الحاضرة ليس بإمكانه مقاومة الجيوش العثمانية .

٢ - إن الدفاع عن رابغ يحتاج إلى قوة مؤلفة من ثلاث فرق ، ولما كان من الصعب تكوينها من جنود بريطانيين ، فمن الواجب تكوين جيش عربي من الضباط والجنود العرب الذين وقعوا أسرى في أيدي القوات البريطانية .

٣ - ضرورة إنزال قوة فرنسية في رابغ[1] .

وعلى أية حال فإن قرارات هذا المؤتمر جاءت مطابقة لقرار لجنة الحرب البريطانية ، وجاءت بحلول بديلة لإنزال قوات بريطانية في رابغ من خلال تكوين فيلق من الضباط والجنود العرب الموجودين في معسكرات الأسر البريطانية والاستعانة بقوات فرنسية ، وقد استطاعت السلطات البريطانية بهذا القرار إبعاد قواتها عن التدخل مباشرة في الحجاز ، وبالتالي حافظت على احترامها وهيبتها في نفوس مسلمي الهند وجنبت نفسها إثارة المشاكل معهم .

(١) أمين سعيد ، مصدر سابق ، ص ٢١٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في شهر محرم ١٣٣٥هـ / تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩١٦م ظهرت بوادر تدل على أن القوات العثمانية تحاول التقدم باتجاه الساحل ؛ مرورًا بالطريق السلطاني ، حيث تمكنت قوات فخري باشا من احتلال الحمراء[١] ، وبير سعيد إثر انسحاب قوات الشريف حسين من هذه الأماكن إلى ينبع[٢] ، عند ذلك رأت السلطات البريطانية ضرورة الاستعانة بقوات فرنسية لإنزالها في رابغ طبقًا لما قررته لجنة الحرب البريطانية ، إلا أن الحكومة الفرنسية اشترطت قيام السلطات البريطانية بإنزال فرقة من المشاة البريطانيين معها ، كي لا تظهر بمظهر المحتل[٣] ، بالإضافة إلى أنه لا مصلحة خاصة لفرنسا في الحجاز .

أما الشريف حسين فقد استمر في طلب إنزال قوات إلى الحجاز ، إلا أن (ولسون) كتب تقريرًا أوضح فيه أن الوضع قد تحسن في رابغ ، فلا حاجة لإنزال قوات أو جنود بريطانيين ...

من خلال هذا العرض المجمل للموقف في رابغ يتضح عدة أمور ، منها :

تذبذب الموقف البريطاني وغموضه فيما يتعلق بمسألة إنزال قوات بريطانية في الحجاز ، الأمر الذي كشف حقيقة النوايا البريطانية التي لم تكن تهتم إلا بمصالحها ، لا سيما وأن السلطات البريطانية منقسمة على نفسها ، فهناك حكومة الهند البريطانية ، التي كان عليها مرعاة رعاياها المسلمين ، ولذلك فهي معارضة لسياسة المندوب السامي في مصر[٤] ، الأمر الذي تسبب في عدم إنزال القوات البريطانية في رابغ .

وبالإضافة إلى ذلك ظهر التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا من خلال رفض فرنسا إنزال قوات فرنسية في رابغ إلا في حالة إنزال بريطانيا لفرقة من المشاة ، الأمر الذي سيظهر القوات بمظهر القوة الدولية .

---

(١) الحمراء : قرية بوادي الصفراء جنوب المدينة ، تبعد عن المدينة ١٢١ كم ، انظر البلادي ، مرجع سابق ٣/٥٧ - ٥٨ .

(٢) جيرمي ولسون : لورنس العرب ، السيرة الذاتية ، ص ١٨٠ -١٨١ .

(٣) مكي شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ٢/٢٤١ .

(٤) Busch, Op.cit, P 174 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تشكيل الجيش العربي النظامي

اعتمد الشريف حسين عند قيام ثورته على قوات غير نظامية من القبائل في الحجاز ، والتي تفتقر إلى التنظيم والتسليح المتطور ، ومنذ اللحظات الأولى لانطلاق الثورة اتضح الفرق الشاسع بين قوات الشريف والقوات العثمانية من حيث التسليح والتنظيم ، ولذلك سعى الشريف حسين إلى إنشاء جيش نظامي عربي يكون على درجة عالية من التنظيم والتطوير ، ويكون افراده من الجنود العرب الذين سبق لهم العمل في الجيش العثماني ، ووقعوا في أسر القوات البريطانية أو التحقوا بها أثناء المعارك بين البريطانيين والعثمانيين للاستفادة من خبرتهم في المجال العسكري ، وأول برقية في هذا الشأن كانت بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٣٤هـ / تموز (يوليو) ١٩١٦م ، حيث بعث الشريف حسين برقية إلى حاكم عام مصر بوساطة مندوبه في القاهرة يقول : « بكل إمكان السرعة ابعثوا لنا ضباطاً لتأليف قوة البلاد المنظمة ، فإن أمرها أصبح أول شيء تحتاجه البلاد »[١] .

واستجابة لطلبات الشريف حسين أرسلت السلطات البريطانية بإرسال من الضباط الذين كانوا في معسكرات الأسر البريطانية في الهند ، وصلت أول دفعة منهم أوائل شهر شوال ١٣٣٤هـ / تموز (يوليو) ١٩١٦م ، وفي مقدمتهم نوري السعيد وإبراهيم الراوي ، وسعيد المدفعي ، وعدد من الضباط العراقيين ، وانضم هؤلاء الضباط إلى معسكر الأمير علي في رابغ[٢] ، ثم تتابع وصول دفعات أخرى من الضباط العرب إلى معسكرات قوات الشريف حسين .

عزيز المصري والشريف حسين

حرصت السلطات البريطانية على أن يكون قادة هذا الجيش من كبار الضباط العرب المشهود لهم بالكفاءة ، واتصلت بعزيز علي المصري[٣] ؛ بهدف إقناعه بالانضمام إلى ثورة الشريف

(١) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

(٢) نوري السعيد ، مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ -١٩١٨ ، ص ٣٠ -٣١ .

(٣) عزيز علي المصري (١٨٨٧ -١٩٦٥م) عسكري وسياسي مصري ، ولد في القاهرة ، درس في الكلية العسكرية في اسطنبول ، اشترك في إخماد ثورة اليمن ، ومقاومة الغزو الإيطالي في ليبيا ، من الأعضاء المؤسسين لجمعية العهد .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حسين ، إلا أنه ظل متردداً في بداية الأمر ؛ لعدم معرفته بأهداف الثورة . ولما وصل نوري السعيد إلى الحجاز كتب إلى عزيز المصري يحثه على الانضمام إلى قوات الشريف حسين دون أن يوضح له أهداف الثورة[١] . فتوجه عزيز المصري إلى الحجاز لدراسة الأحوال هناك ، وليس بقصد الاشتراك في الثورة أو تولي قيادتها[٢] ، ووصل إليها في ٨ ذي القعدة ١٣٣٤هـ / ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م ، والتقى الشريف حسين ليتعرف على الأسباب التي دعته للانفصال عن الدولة العثمانية ، وخلال هذه المقابلة أوضح عزيز المصري للشريف حسين وجهة نظره حول العلاقات العربية العثمانية ، ونصح الشريف أن يكون هدف الثورة المباشر هو **منع انتشار العداوة بين بريطانيا والدولة العثمانية إلى الحجاز ، وأن يتحقق للعرب استقلال ذاتي ضمن الوحدة العثمانية** ، وعندما وجد الشريف حسين أن عزيزًا المصري متمسك بآرائه إلى حد كبير تردد في توليته منصب قيادي عسكري .

إلا أن السلطات البريطانية نصحته بضرورة الاستعانة به والاستفادة من خبراته[٣] ، فأسند إليه مهمة تنظيم الجيش العربي الذي كان مرابطًا في رابغ ، فعمل على تنظيمه تنظيمًا مناسبًا ، وقسمه إلى قسمين : قسم نظامي يحارب طبقًا للأساليب التقليدية ، وقسم من المشاة ، خفيف الحركة يعمل خلف خطوط العدو ، يتكون من فوجين للمشاة وفوج رشاش وبطارية مدفع[٤] .

لم تطل مدة إقامة عزيز المصري في الحجاز ، حيث غادرها إلى مصر في أواخر جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / آذار (مارس) ١٩١٧م ، على إثر خلاف بينه وبين الشريف حسين .

لقد اختلفت الآراء حول الأسباب التي جعلت عزيزًا المصري يغادر الحجاز ، لا سيما أنه يشغل منصب وزير الحربية منذ صفر ١٣٣٥هـ / كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦م ، وقد أورد المؤرخون عدة أسباب لذلك ، منها :

---

(١) Khadduri, Majid: Aziz Ali AlMasri and The National Movement, P 63-140 .

(٢) أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٨٩ .

(٣) Khadduri: Aziz Ali, Op.cit, P63-140 .

(٤) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلحاح عزيز المصري على الشريف حسين في أن يطلب من السلطات البريطانية تزويد الجيش العربي بمدافع من تلك التي غنمها الجيش البريطاني في فلسطين ، فلم تلب السلطات طلبه ؛ مما أثار غضبه ، **وقال كلامًا يفهم منه أن بريطانيا تريد القضاء على العرب** ، ولما وصل هذا الكلام إلى مسامع المسؤولين البريطانيين ، طلبوا من الشريف حسين إقصاء عزيز المصري من الخدمة في الجيش[١] .

وهناك من يذكر أن عزيزًا المصري طالب بإعطائه صلاحيات أوسع ، وأن تكون له قيادة مستقلة ؛ ليتمكن من إنشاء قوة كبيرة ، إلا أن الشريف حسين لم يوافق على طلبه هذا ؛ **لحرصه الشديد على أن يكون هو صاحب الكلمة العليا في شؤون الجيش** حتى لا يصبح الجيش أداة في يد قواته من كبار الضباط ، وبالتالي يفقد أمر السيطرة عليه .

بينما يقول رأي آخر : **إن عزيزًا المصري علم بأمر اتفاقية (سايكس بيكو)** أثناء حديثه مع (نيوكمب) ، وسارع إلى إبلاغ الشريف بما سمعه ، فبعث الشريف حسين رسالة إلى (ويلسون) المعتمد البريطاني بجدة في ١٦ آذار (مارس) ١٩١٧م ، قال فيها : « أرجو أن تكونوا قد علمتم بما دار بين عزيز المصري و (نيوكمب) من حديث ، أما إذا لم يبلغكم فأرجو أن تتحققوا وتعلموني حتى أحصل على الحقائق بوضوح » ، وقد كان جواب (ويلسون) : « إن الكولونيل (نيوكمب) قد أخبره عن اجتماعه مع عزيز المصري ، وأنهما تباحثا في الوضع العسكري ، وأن عزيزًا حاول أن يتحدث في السياسة معه - ولكني لا أذكر التفاصيل - وقد أعطيت التعليمات (لنيوكمب) بأن يخبر عزيزًا المصري بأن عليه أن لا يشغل نفسه بالسياسة »[٢] .

بينما يرى آخرون أن عزيزًا المصري **حاول عقد صلح مع الدولة العثمانية على أساس الاستقلال الذاتي العربي ضمن إطار الدولة العثمانية**[٣] ، ففي شهر ذي الحجة عام ١٣٣٤هـ / تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م بدأت قوات الشريف حسين والمتمركزة في رابغ تعد العدة لمهاجمة المدينة ، عند ذلك انقسم الضباط العرب حول القضية ؛ فالذين عارضوا الانفصال عن الدولة العثمانية أوضحوا

(١) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .
(٢) موسى ، الحركة العربية ، ص ٢٩٤ -٢٩٥ .
(٣) فايز الغصين ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٨ -٢٣٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بشكل مباشر أنهم لا يفضلون مهاجمة المدينة ، وبما أن عزيزًا المصري أدرك أن هدف الشريف حسين الاستقلال التام عن الدولة العثمانية ، فقد تعاطف مع هؤلاء الضباط ، وبحث معهم خطة تتعارض مع سياسة وأهداف الشريف حسين ، وهذه الخطة تتمثل بالآتي : أن تتصل مجموعة من الضباط بالقيادة العثمانية في المدينة ، بهدف التفاهم مع فخري باشا ؛ قائد الحامية العثمانية في المدينة على أساس السماح لقوات عربية وعثمانية مشتركة بالتقدم نحو مكة تحت قيادته لتولي السيطرة والقيادة العامة بدلاً من الشريف حسين ، وتتفاوض من أجل عقد صلح مع السلطات العثمانية مقابل منح العرب قدرًا من الاستقلال الذاتي في ظل الدولة العثمانية ، واستكمالاً لهذه الخطة فقد اعتزم عزيز علي المصري إجراء محادثات مباشرة مع القيادتين الألمانية والعثمانية في سوريا ؛ بهدف التوصل إلى ترتيبات مماثلة فيما يتعلق بالأراضي العربية الأخرى ، إلا أن خبر هذه الخطة وصل إلى الشريف حسين ، عند ذلك صدرت الأوامر إلى عزيز المصري بالتراجع عن خطة الهجوم على المدينة ، ثم ما لبث أن صدرت إليه الأوامر بمغادرة الحجاز[١] .

والذي يظهر **أن عزيزًا المصري كان غير راض عن السياسة البريطانية تجاه العرب** ؛ حيث إنه أعلن عن تفضيله التعاون مع السلطات الألمانية وحلفائها على أمل أن تكسب ألمانيا الحرب ؛ مما سيؤدي إلى تحرير مصر من الاحتلال البريطاني في إثر هزيمة بريطانيا والحلفاء ، كما أن عزيزًا المصري يعتقد أن مشاركته إلى جانب ألمانيا في الحرب سوف يؤثر على الحكومة الألمانية ، ويكون دافعًا لها لممارسة الضغط على السلطات العثمانية لتمنح العرب استقلالاً ذاتيًا ضمن الوحدة العثمانية ، بالإضافة إلى ذلك فإن عزيزًا المصري كان يرى في الثورة ضربة للوحدة العثمانية[٢] .

من خلال هذا العرض يتضح لنا أن السبب الأول في الخلاف بين الشريف حسين وعزيز المصري **هو اختلاف أهداف الطرفين ؛ فالشريف حسين كان**

(١) Khadduri: Op.cit, P 40-63 .
(٢) Khadduri: Op.cit, P 40-63 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يهدف إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية ، أما عزيز المصري فإنه يهدف إلى منح العرب قدرًا من الاستقلال في ظل الدولة العثمانية .

جعفر العسكري ينضم للشريف حسين

وصل إلى الحجاز جعفر العسكري في الوقت الذي كان قد غادرها عزيز علي المصري ، وذلك في آذار (مارس) ١٩١٧م ، ويعد جعفر العسكري أحد كبار قادة الجيش العثماني في بداية الحرب العالمية الأولى ، فقد أسندت إليه القيادة العثمانية العديد من المهام العسكرية الصعبة ، ونجح البريطانيون في استمالته إلى جانب الثورة العربية بعد انضمام العديد من الأسرى إلى الجيش العربي ، وسعى للاتصال بالشريف حسين عن طريق محمد شريف الفاروقي ، فقد كتب له رسالة استعطاف ورجاء ، إلا أن الشريف حسين اعتذر عن قبول قائد شهير مثله ؛ حيث كان يخاف - كما أسلفنا - من أن يشكلوا خطرًا على وجوده ، وقد يخرجون عليه في يوم ما .

وكتب الفاروقي إلى الشريف حسين رسالة يعلمه عن مكانة جعفر العسكري في نفوس الضباط العرب . وقال في برقيته : « وعلى ما علمت أن فريقًا من الضباط العرب الأسرى متعلقون به شخصيًا ، فإذا التحق بالجيش انضموا هم إليه أيضًا »[١] . وعندما خرج عزيز المصري من الحجاز سنحت الفرصة لجعفر العسكري .

مهما يكن من أمر ؛ فقد تمكن الشريف حسين من تأسيس جيش في ظل وجود هؤلاء الضباط العرب الذي حقق التحاقهم بالثورة العديد من المميزات ، **حيث أضفى على ثورة الشريف حسين الصفة القومية ، وجعل منها جبهة قوية** ، مما أجبر القادة العثمانيين على الاعتراف بخطورتها[٢] .

الاستيلاء على الوجه

على أثر الهجوم الذي قامت به قوات الأمير علي على القوات العثمانية في بدر ووادي الصفراء[٣] وبير درويش[٤][٥] في أواخر

(١) محمد طاهر الموصلي ، مرجع سابق ٧٧/٢ .
(٢) صبحي العمري ، لورنس كما عرفته ، ص ٥٥ .
(٣) وادي الصفراء : أحد أودية المدينة ، يقع بالقرب من ينبع ، البلادي ، مرجع سابق ١٥٠/٥ - ١٥١ .
(٤) بيردرويش : نسبة إلى درويش الصبحي من حرب ، تبعد ٤٨ كم جنوب المدينة ، البلادي ، مرجع سابق ١٦١/١ .
(٥) نوري السعيد ، مصدر سابق ، ص ٣٩ - ٤٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م بعد انتهاء حصار الطائف ، إثر استسلام حاميتها ، تراجعت قوات فخري باشا ، وتوجهت قوات الأمير عبد الله إلى وادي العيص شمال غرب المدينة ، حيث تولى مهمة قطع مواصلات قوات فخري باشا ، وأنهى خطر تقدمها إلى مكة[١] .

في ظل هذه الأوضاع أصبح زمام المبادرة في يد قوات الشريف حسين ، بعد أن تم له القضاء على حسين باشا ابن مبيريك ، والاستيلاء على ميناء رابغ المهم ، والاستيلاء على الطائف ، واستسلام حاميتها العثمانية ، مما عزز وضعه العسكري في مكة وما حولها ، وبذلك أتيحت الفرصة لقوات الأمير فيصل المرابطة في ينبع للتحرك شمالاً نحو الوجه - الواقعة في شمال البحر الأحمر - عند ذلك بدأت الأمير فيصل بالاستعداد للزحف شمالاً بعد أن اتخذ جميع الوسائل الممكنة لتأمين ينبع ضد أي هجوم[٢] ، وفي إطار استعداداته للهجوم على الوجه بعث برسائل إلى مشايخ (بلي) لحثهم على الانضمام إلى الثورة[٣] ، وكان حريصًا على انضمام شيخ مشايخ (بلي) سليمان بن رفاده ؛ لمكانته الرفيعة بين قومه ، إلا أن ابن رفاده ظل على ولائه للعثمانيين[٤] .

على أية حال استولت قوات الأمير فيصل وهي في طريقها إلى الوجه على أملج ؛ حيث تم ذلك في ٢٣ ربيع الأول ١٣٣٥هـ / ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧م[٥] ، وكانت خطة الاستيلاء على الوجه تقتضي أن تقوم قوات الأمير فيصل بمهاجمة الوجه بمساندة الأسطول البريطاني الذي سوف تكون مهمته ضربها من البحر ، وإنزال مجموعة من الجنود العرب إلى البر[٦] .

ففي يوم ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٥هـ / ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧م وصل الأسطول البريطاني ، الذي بدأ يضرب ميناء الوجه ، وإنزال الجنود العرب إلى

---

(١) لورنس ، مصدر سابق ، ص ١٦٣ .
(٢) ولسون ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ -١٨٥ .
(٣) الموصلي ، مصدر سابق ١٩٩/٢ .
(٤) Yatak, Op.cit, S 79 .
(٥) ممدوح عارف الروسان : حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام ١٩١٦ -١٩١٨ ، ص ٤٠ .
(٦) Scovill: Op,cit P 159-160 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البر ، فتم لهم السيطرة على مدينة الوجه بعد أن انسحبت الحامية العثمانية إلى العلا ، مخلفة وراءها العديد من القتلى والجرحى[١] ، وصلت قوات الأمير فيصل إلى الوجه في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣٥هـ / ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧م بعد أن احتلها الجنود الذين جاؤوا على ظهر الأسطول البريطاني .

وعين الأمير فيصل مولود مخلص[٢] حاكمًا عسكريًا فيها ؛ اعتمادًا على قوة شخصيته وشكيمته وأصبحت منذ ذلك الوقت مقرًا للجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل نفسه[٣] .

ويعد استيلاء قوات الشريف حسين على الوجه نقطة تحول كبيرة في تاريخ ثورة الشريف حسين ، بل يمكن اعتباره بداية الانتصار على القوات العثمانية في المدينة ؛ بسبب ما ترتب عليه من نتائج كان لها أثر فعال على سير الأحداث فيما بعد ، حيث أصبحت الوجه قاعدة إمداد وتموين لجيش الشريف حسين على الساحل الشمالي ، وأعقبها الاستيلاء على الموانئ المهمة في شمال البحر الأحمر ، (كضبا والمويلح) ، وبذلك تكون الثورة قد بدأت في التوسع والانتشار في الشمال ، وبدأت القبائل الشمالية في التوافد على الأمير فيصل في (الوجه) معلنة انضمامها إلى الثورة ، وعلى رأس هذه القبائل :الرولة ، والشرارات ، والحويطات ، وبني صخر ، والعمارات[٤] .

ومن أهم النتائج المترتبة على الاستيلاء على الوجه أيضًا أنها أصبحت قاعدة مهمة لانطلاق العمليات الهجومية على خط سكة الحديد ، وقطع أجزائه بصورة متكررة[٥] ، مما ساعد قوات الشريف حسين على فرض الحصار التام على الحامية العثمانية في المدينة بعد قطع مواصلاتها مع الشمال ، فأخذت القوات العثمانية منذ ذلك الحين تعاني من مشاكل الإمداد والتموين ، وتحولت المبادرة إلى قوات الشريف حسين ، في حين التزمت الحامية العثمانية في المدينة موقف

(١) ولسون ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .
(٢) مولود مخلص : أحد الضباط العراقيين الذين انضموا إلى الثورة العربية في أواخر ١٩١٦م .
(٣) محمد حسين الزبيدي ، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العرب المعاصر ، ص٨٢ .
(٤) موسى ، المراسلات التاريخية ، ص ١٠٠ .
(٥) Yatak, Op.cit, S 97 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الدفاع عن قواعدها وتخلت تمامًا عن فكرة التقدم نحو مكة لاسترجاعها[١] ، وقسم الشريف حسين قواته بعدها إلى ثلاثة جيوش تحت قيادة أبنائه :

١ - الجيش الجنوبي : بقيادة علي بن الحسين ، ومقره رابغ ، ومهمته حصار المدينة من الجنوب .

٢ - الجيش الشمالي : بقيادة عبد الله بن الحسين ، ومقره وادي العيص ، ومهمته قطع خط سكة الحديد وخطوط مواصلات المدينة مع الشمال .

٣ - الجيش الشرقي : بقيادة الأمير عبد الله بن الحسين ، ومقره وادي العيص ، ومهمته قطع خطوط مواصلات المدينة من جهة الشرق .

وبذلك أصبحت قوات فخري باشا في المدينة في مواجهة هذه الجيوش الثلاثة ، وكان ذلك إيذانًا ببدء مرحلة جديدة من المواجهات بين قوات الشريف حسين والحامية العثمانية في المدينة .

قطع اتصال المدينة بالشمال

كانت سكة حديد الحجاز التي تربط المدينة ببلاد الشام بمثابة شريان الحياة للحامية العثمانية في المدينة ؛ لأنها تربط بين جبهة الحجاز وجبهة الشام وسيناء ، ولهذا كانت هدفًا لقوات الشريف حسين منذ بداية المعارك حول المدينة ، ففي ٢ شعبان ١٣٣٤هـ / ٥ حزيران (يونيو) ١٩١٦م بدأت قوات الشريف حسين محاولاتها الأولى لقطع خط سكة الحديد ، حيث استطاعت تخريب خط السكة ما بين محطات هدية[٢] ، وأبو النعم[٣] وجديدة[٤] ، وفي ١١ شعبان ١٣٣٤هـ / ١٢ حزيران (يونيو) ١٩١٦م تمكنت من تدمير مئة وأربعين عمودًا من أعمدة التلغراف بين

(١) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

(٢) هدية : تقع في وادي الطبق ، على بعد ١٦٩كم عن المدينة ، انظر البلادي ، مرجع سابق ١٦٩/٩ .

(٣) أبو النعم : محطة تبعد عن المدينة ٥٩كم إلى شمال غرب المدينة ، انظر البلادي ، مرجع سابق ٦٨/٩ .

(٤) جديدة : محطة تقع شمال المدينة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أبو النعم وبواط[١] ، إلا أن هذه المحاولات لم تكن ذات فاعلية تذكر ، بسبب قيام القوات العثمانية بإصلاحها بسرعة[٢] .

وبعد فشل قوات الشريف حسين في إجبار حامية المدينة على الاستسلام وجدت أنه لا سبيل لذلك إلا عن طريق فرض حصار محكم عليها ، **وذلك بقطع خط سكة الحديد نهائيًا ، وقد أوحى البريطانيون بهذه الفكرة ، وشجعوا قوات الشريف حسين على تنفيذها** ، ويؤكد ذلك ما قاله (الجنرال ونجت) بأن تشديد الضغط على خط سكة الحديد سوف يؤدي إلى إضعاف حامية المدينة ، وبالتالي يؤدي إلى الاستيلاء عليها[٣] .

لكن هذه الخطة تأخر تنفيذها بسبب المقاومة التي كانت تواجهها قوات الشريف حسين من قوات فخري باشا ، وعندما استولت قوات الشريف على ميناء الوجه أصبحت فكرة قطع خط سكة الحديد قابلة للتنفيذ بشكل مؤثر ، فكانت أول غارة شنتها قوات الشريف حسين على السكة الحديد بعد الاستيلاء على الوجه في ١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ / ١٢ شباط (فبراير) ١٩١٧م ، حيث تحركت قوة مكونة من العقيلات وجهينة بقيادة الشريف عبد الكريم البديوي ، يرافقها (جارلند) الذي كان يتولى التدريب على المتفجرات ، وكان هدف هذه الغارة محطة طويره[٤] ، وقد كان لها نتائج مؤثرة على خط السكة[٥] ، وبعد عشرة أيام من تنفيذ الغارة الأولى انطلقت حملة أخرى من ميناء الوجه بقيادة الشريف ناصر بن علي ، مؤلفة من مئة وستين رجلاً ، يرافقها (نيوكمب) ، حيث انقسمت إلى ثلاث فرق ، تقدمت إحدى هذه الفرق لمشاغلة الحامية في تلك المحطة ، في حين عملت الفرقتان الأخريتان على تدمير خط السكة بواسطة

(١) بواط : تقع غرب المدينة ، تبعد عنها مسافة ٥٥كم ، انظر البلادي ، مرجع سابق ٢٥٦/١ .

(٢) Yatak, Op.cit, S 41 .

(٣) Kedourie Elie: The Surrender of Medina January 1919, P 142 .

(٤) طويرة : تقع شمال المدينة على بعد ٢١٢كم منها . انظر البلادي ، مرجع سابق ٢٤٢/٥ .

(٥) موسى ، الحرب في الحجاز ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ -١٥٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المتفجرات ، ونتج عن ذلك تدمير مئتين وخمسين قضيبًا ، وخمسة عشر عمودًا من أعمدة التلغراف ، بالإضافة إلى نسف قاطرتين[١] .

واستمر جيش الشريف فيصل في مهاجمة خط سكة الحديد ، ففي ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / ٨ آذار (مارس) ١٩١٧م هاجمت هذه القوة محطة دار الحمراء[٢] ، ومحطة مطالع[٣] ، حيث تم تدمير مئة وخمسين قضيبًا ، بالإضافة إلى عدد من أعمدة التلغراف .

وكثفت قوات الشريف حسين هجماتها على خط سكة الحديد ، ولم يعد ذلك العمل مقتصرًا على الجيش الشمالي ، بل إن قوات الأمير عبد الله (الجيش الشرقي) شاركت فيها ، وتم عقد اجتماع بين الأمير عبد الله والأمير فيصل يومي ١٥ و ١٦ تموز (يوليو) ١٩١٧م لوضع خطة مشتركة بين الطرفين ، تقوم بموجبها جميع القوات بالهجوم الشامل على محطات السكة اعتبارًا من رمضان ١٣٣٥هـ / ٣٠ تموز (يوليو) ١٩١٧م ، وبعد هذا الاتفاق قامت قوات الأمير عبد الله في ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٧م بتدمير قضبان السكة بين محطتي المدرج[٤] وهدية[٥] ، وذكر الأمير عبد الله في برقية وجهها إلى (ولسون) ، المعتمد البريطاني البريطاني في الحجاز : « أنه قد تمكن من تخريب خمسة عشر كيلومترًا من السكة ، بما فيها الجسور وأسلاك التلغراف » ، وفي ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧م قامت قواته بتدمير عدد كبير من قضبان السكة ، وهاجمت محطة العلا[٦] .

ونتيجة للضغوط المتزايدة على سكة الحديد من قبل قوات الشريف حسين ، أصبحت القوات العثمانية في حيرة من أمرها ، وصارت في حالة من اليأس ، وهذا يتضح من برقية بعث بها جمال باشا الصغير (قائد معسكر العلا) إلى جمال

---

(١) موسى ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ -١٥٨ .

(٢) دار الحمراء : محطة تقع جنوب تبوك ، على مسافة ١٨٨كم ، البلادي ، مرجع سابق ١٩٤/٣ .

(٣) مطالع : تقع شمال مدائن صالح (العلا) ، البلادي ، مرجع سابق ١٨٦/٨ .

(٤) المدرج : تقع شمال غرب المدينة ، وتبعد عنها ١٨٦كم ، البلادي ، مرجع سابق ٦٢/٨ .

(٥) موسى ، الحرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ -٢٢٨ .

(٦) العلا : شمال المدينة المنورة ، تبعد عنها ٢٢٠كم ، البلادي ، مرجع سابق ١٥٥/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

باشا (قائد الجيش الرابع) يطلب فيه إمداده بالمزيد من القوات ليتمكن من الدفاع عن السكة الحديد بشكل جيد ، وقد جاء رد جمال باشا على تلك البرقية : « أنه يجب عليه التحلي بالصبر وبهمة عالية ، وبعزيمة قومية ، ليتمكن من المدافعة عن الخط بشكل مُرض »[١] ، وقامت السلطات العثمانية بتنظيم الدفاع عن سكة الحديد ، فقسمت الخط إلى ثلاثة مناطق عسكرية :

١ - منطقة العلا : تحت قيادة بصري باشا .

٢ - منطقة تبوك : تحت قيادة قائمقام عاطف بك .

٣ - منطقة معان : تحت قيادة اللواء جمال باشا[٢] .

وبالرغم من استمرار العمليات التخريبية ، إلا أن خط السكة ظل يعمل بكفاءة أقل ؛ نظرًا لوجود فرقة خاصة تعمل على إصلاح ما يتم تخريبه[٣] ...

وتواصلت محاولات قوات الشريف حسين لقطع خط سكة الحديد ، فمع مطلع عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م احتشد الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبد الله بالقرب من السكة الحديد ، وجعل منها هدفًا رئيسيًا لهجماته ، حيث هاجم محطتي جداعة وهدية ، واستمر القتال بين قوات الأمير عبد الله وبين الحامية العثمانية في المحطتين على مدار يومين ، ونتج عنه تدمير تسعة أميال من السكة ، وستة كيلومترات من خطوط التلغراف ، وتسعة عشر جسرًا ، وفي ١٣٣٦هـ / ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨م تم تدمير قطار مخصص للصيانة والتصليح بين محطتي اسطبل عنتر[٤] وأبو النعم ، وفي يومي ١٣ و ١٤ رمضان ١٣٣٦هـ / ٧ و ٨ شباط (فبراير) ١٩١٨م هوجمت محطتا طويرة وبير الحديد ، وتم تدمير أحد عشر جسرًا ، بالإضافة إلى سبعة أميال من السكة .

وشارك الجيش الجنوبي بقيادة الأمير علي بن الحسين في عمليات الهجوم على خط سكة الحديد ، حيث هاجمها بالقرب من محطة بواط ، ونتج عن ذلك الهجوم تخريب ٢٨٩٠ قضيبًا ، في حين كان الجيش الشرقي يواصل

(١) Kandmir Feridon: Pey gamberimizin san Turkeler, P 104 .

(٢) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(٣) هنادي يوسف غوانمة ، المملكة الهاشمية الحجازية ، ١٠٢ .

(٤) اسطبل عنتر : محطة شمال غرب المدينة ، على مسافة ١١٣كم عنها ، انظر البلادي ، مرجع سابق ١٨٣/٣ ، ١٨٣/٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عملياته التخريبية بين محطتي بواط وحفيرة[١] ، مما نتج عنه تخريب أحد الجسور ، وإتلاف مئتي قضيب من قضبان السكة[٢] .

وفي ١٣٣٦هـ / ١٠ آذار (مارس) ١٩١٨م هاجمت قوات الجيش الشرقي جسر وادي الحمض ، الذي يعد من أكبر جسور السكة الحديد ، وبالإضافة إلى ذلك فقد هاجمت محطة المدرج ، ودمرت ما يقارب مئة قضيب ، بالإضافة إلى مهاجمة محطة بواط ، وأبو النعم ، وإسطبل عنتر[٣] .

ونتيجة لعمليات التخريب الواسعة التي تعرض لها خط السكة الحديد ، اضطرت قيادة الجيش الرابع العثماني لإرسال إمدادات لتعزيز القوات العاملة على إصلاح الخط والدفاع عنه ، حيث وصلت للمدينة قوة عسكرية مكونة من ثمانية وأربعين جنديًا وخمسة ضباط ، بهدف تعزيز الدفاعات العثمانية حول السكة ، وكان وصولها إلى المدينة بتاريخ ١٣٣٦هـ ، الموافق ٤ آذار (مارس) ١٩١٨م[٤] .

وفي آب (أغسطس) ١٩١٨م اشتركت قوة بريطانية في الاستيلاء على محطة المدورة[٥] في الشمال ، ويعتبر الاستيلاء على هذه المحطة نقطة تحول كبيرة في مسار الأحداث ، حيث أرغمت القوات العثمانية على إخلاء خط السكة من معان إلى محطة ذات الحاج ، وبالتالي قطعت صلة المدينة بالشمال ، حيث كان آخر قطار وصل المدينة يوم ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ / ٢٦ آذار (مارس) ١٩١٨م[٦] .

بعد قطع صلات المدينة بالشمال ، أخذ فخري باشا يطلب النجدة من دمشق واسطنبول ؛ لإصلاح الخط ، إلا أن القيادة العليا في (اسطنبول) لم يكن في إمكانها المساعدة في ذلك ، واكتفت بالرد قائلة : « إن عليه بذل الجهد لإصلاح ما أتلف من الخط »[٧] .

---

(١) حفيرة : محطة تقع شمال المدينة .

(٢) موسى ، الحرب في الحجاز ، ص ٢٥١ -٢٥٤ .

(٣) موسى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٤) Kiciman: Op.cit, S 152 .

(٥) المدورة : شمال المدينة ، تبعد عن تبوك ١٢٠كم شمالاً ، وهي واقعة ضمن حدود المملكة الأردنية الهاشمية ، البلادي ، مرجع سابق ٦٦/٨ .

(٦) Goulsy: Op.cit, S 233 .

(٧) Kiciman: Op.cit, S 157 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن خلال هذا العرض يلاحظ أن هذه العمليات التخريبية ، ومحاولات قطع خط سكة الحديد لم تتم إلا بدعم وتشجيع من قادة القوات البريطانية ، التي أمدت قوات الشريف بما تحتاج إليه ؛ من مواد التفجير ، والتدريب عليها ، فقد أنشأت لهذا الغرض مدرسة للتدريب على عمليات التفجير بميناء الوجه ، بالإضافة إلى أن أية قوة يتم تكليفها بتخريب خط سكة الحديد لا بد أن يرافقها بريطاني خبير بالمتفجرات ، ومن أبرز اللذين حرضوا الثائرين على ذلك ، وأسهموا معهم شخصيًا : كل من : (لورنس ، وجارلند ، ونيوكمب)[1] ، ومن ذلك يتضح أن للسلطات البريطانية دورًا فاعلاً في عمليات التخريب ؛ تخطيطًا وتنفيذًا .

أما فيما يخص مواقف القبائل ، وبطونها القاطنة على طول خط سكة الحديد وما حولها ، فقد انقسمت إلى ثلاث فئات : فئة وقفت إلى جانب العثمانيين وبقيت على ولائها لهم ، وعلى رأسها قبيلة (بلي) التي كان يتزعمها سليمان بن رفادة البلوي ، وقد بقي مواليًا للعثمانيين حتى مقتله في إحدى المعارك التي دارت حول خط سكة الحديد ، أما الفئة الثانية فقد أعلنت ولاءها للثورة ، نتيجة للخوف والتهديد ، وعلى رأسها عشائر : (عنزة) التي كان يتزعمها (فرحان الايداء ، وشهاب الفقير) ، وقد انضمت إلى الثورة بعد أن هددها الأمير عبد الله بن الحسين بمقاتلتها إن لم تنضم للثورة ، أما الفئة الثالثة فقد أعلنت ولاءها للثورة ، وانضمت إليها طمعًا بالمال والمغريات المادية الأخرى ، وهي تضم : (الشرارات ، والرولة ، وبني صخر) ، وكان للقبائل الموالية دور كبير في تشديد الحصار على المدينة وإحكامه .

إحكام الحصار على المدينة

في الوقت الذي كان فيه قسم من قوات الشريف حسين يتولى قطع مواصلات المدينة مع الشمال ؛ للتشديد على القوى المرابطة فيها ، ولإرغامها على الاستسلام ، كان هناك قسم آخر من هذه القوات يناوش قوات فخري باشا حول المدينة ؛ لإنهاكها وإضعاف معنوياتها ، وإدخال اليأس في نفوسها ، وإرغامها على الاستسلام ، وكان على رأس قوات (الجيش

(١) ريتشارد الدنجتون : لورنس في البلاد العربية ، ص ١٨٦ -١٨٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجنوبي) الأمير علي بن الحسين الذي يرابط جنوب المدينة ، حيث أخذت هذه القوات على عاتقها مهاجمة المواقع الجنوبية القريبة منها ، فجرت معارك بين الطرفين ، منها : المعركة التي حدثت بالقرب من (مجز)[١] بتاريخ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦م ، والتي انتهت بهزيمة قوات فخري باشا ، وفي اليوم التالي شنت قوات الأمير علي بن الحسين هجومًا على موقع (مجز) ذاته ، فأرغمت قوات فخري باشا على ترك مواقعها الحصينة ، والانسحاب إلى (بير درويش)[٢] ، وتذكر المصادر التركية أن انسحاب فخري باشا إلى بير درويش محاولة منه لإعادة تنظيم قواته ، ودراسة أوضاع جيشه ، بعد أن تم لقوات الأمير فيصل الاستيلاء على الوجه[٣] .

وفي ١٣٣٥هـ / ٢٣ آذار (مارس) ١٩١٧م استولت قوات الشريف حسين على (بير عباس)[٤] والذي يعد الاستيلاء عليه خطوة هامة في سبيل الاستيلاء على المدينة ، أما الأمير علي ، الذي عاد إلى رابغ ، فقد أخذ يستعد لمواصلة المعارك حول المدينة ؛ حيث زحف بقواته ، وهاجم (بير درويش) وتمكن من الاستيلاء عليه بعد معركة قوية ، ثم زحف إلى (بير الماشي) ، القريب من (مجز) للاستيلاء عليه ، إلا أنه اضطر إلى الانسحاب إلى (بير دوريش) بسبب قوة مدفعية فخري باشا ، مما كان له أثر سلبي في نفوس قوات الأمير علي[٥] .

وبالإضافة إلى المناوشات التي كانت تحدث حول المدينة بين قوات الأمير علي وقوات فخري باشا ، أخذت قوات الأمير زيد بالعمل على قطع صلات المدينة بما حولها من مناطق ، ومنع القوافل التجارية القادمة إلى المدينة ، واعترضت

(١) مجز : غدير في وادي النقيع ، بين مدفع الأتمة وبير الماشي ، انظر البلادي ، مرجع سابق ٢٩/٨ .
(٢) موسى ، الحرب في الحجاز ، ص ١٣٥ .
(٣) Yatak: Op.cit, S 102-103 .
(٤) جريدة القبلة ، عدد ٦٤ ، جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ ، ص ٢ .
(٥) نوري السعيد ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قافلة قادمة من حائل ؛ لتزويد حامية المدينة بالمؤن ، واستطاعت بعد معركة قصيرة أن تستولي على القافلة وما تحمله من عتاد ومؤن[١] .

وفي ١٩ ربيع الأول ١٣٣٥هـ : ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧م اشتبكت قوات الأمير عبد الله (الجيش الشرقي) وهي في طريقها إلى (وادي العيص) مع قوة عثمانية بقيادة أشرف بك في معركة حامية ، انتهت بأسر قائد القوة العثمانية ، وغنمت منها غنائم كثيرة ، من جملتها ثمانية وثلاثون ألف جنيه ، كانت قد كلفت القافلة بتوزيعها كهدايا لأمراء شبه الجزيرة العربية ، مع وقوع (٣٤) أسيرًا من هذه القوة[٢] .

ويعتبر أسر (أشرف بك) أول عمل قامت به قوات (الجيش الشرقي) بقيادة الأمير عبد الله الحسين وهي في طريقها إلى (وادي العيص) الذي اتخذ منه قاعدة لشن هجماته على قوات فخري باشا[٣] .

استمر جيش الأمير علي (الجيش الجنوبي) في هجماته على قوات فخري باشا بشكل مكثف ، مما اضطر فخري باشا إلى سحب قواته ، التي كانت في أماكن متقدمة في (الغاير)[٤] و (مجز) إلى (بير الماشي) ، ثم سحبها من (بير درويش) إلى (جليجلة)[٥] ، ومنها إلى المدينة[٦] .

وواصل الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبد الله هجماته على المواقع القريبة جدًا من المدينة ، ووصل إلى العوالي ، وتمكن من أسر عدد كبير من أفراد قوات حامية المدينة المنتشرة هناك[٧] .

ونظرًا للضغط الشديد الذي أخذت تواجهه القوات العثمانية من قبل قوات الشريف حسين ، فإن قيادة الجيش الرابع بقيادة : (جمال باشا) رأت الاستعانة بقوات حليفها ابن رشيد لمهاجمة مكة نفسها ، لكي تخفف الحصار عن المدينة ،

---

(١) موسى ، الحرب في الحجاز ، ص ١٣٥ .
(٢) ابن الحسين ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ -١٢٩ .
(٣) ابن الحسين ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .
(٤) الغاير : تقع جنوب المدينة ، على الطريق إلى بير الماشي ، البلادي ، مرجع سابق ٢١٩/٦ .
(٥) جليجلة : تقع شمال غرب المدينة ، البلادي ، مرجع سابق ١٦٥/٢ .
(٦) Yatak: Op.cit, S 109 .
(٧) جريدة القبلة ، عدد ٤٤ ، تاريخ ٢٠ ربيع أول ١٣٣٥ ، ص ٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأرسلت إليه أموالاً وذخائر حربية ، بالرغم من معارضة بعض القادة العثمانيين الذين كانوا لا يثقون بالعرب ، ويرون أنه لا هدف لهم سوى الحصول على الأموال[١] ، وعلى أية حال ؛ استجاب ابن رشيد لهذا الطلب ، وخرج قاصدًا مكة في ١٣٣٥هـ / ٩ أيار (مايو) ١٩١٧م ، إلا أنه لم يتمكن من الوصول إليها ، بسبب شدة الضربات الموجهة إلى خط سكة الحديد من قبل قوات الشريف ، ولذلك فإنه اكتفى فقط بمحاربة هذه القوات بالقرب من تيماء[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن القبائل التي حول المدينة قامت بدور كبير في تشديد قبضة الشريف حسين على المدينة ، فكثير من القبائل كانت موالية له ، واشتركت مع قواته في تشديد الهجمات على قوات فخري باشا ، حيث تمكنت قبيلتا (الردادي ، والرحيلي) من مهاجمة قوات فخري باشا في موقع (الفريش)[٣] ، وانتصرت عليها ، بالإضافة إلى ذلك فإن قبيلة (الحوازم) هاجمت قوة من جيش فخري باشا ، وانتصرت عليها[٤] .

موقف القيادة العثمانية العليا من قواتها في المدينة

مع اشتداد ضغط قوات الشريف حسين على الحامية العثمانية في المدينة أخذ قائدها فخري باشا منذ بداية ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م يطلب المدد العسكري من قيادة الجيش الرابع ، إلا أن طلباته كانت ترفض ، فتوجه فخري باشا بطلباته إلى القيادة العليا في اسطنبول[٥] ، الأمر الذي أثار غضب أنور باشا ؛ وزير الحربية والقائد العام للقوات العثمانية ، وقام بتوجيه رسالة إلى جمال باشا قائد الجيش الرابع يقول فيها : « إنه يفهم من التقارير التي تأتيه من قائد قوات حملة الحجاز فخري باشا بأن فخري لا يتمتع بحزم ومتانة كافيين ، لذا أريد أن تبين لي إمكانية تغييره بقائد أكثر قدرة ومكانة من بين قواد الجيش الرابع ، أو بقائد من الجيوش

---

(١) Yatak: Op.cit, S 109 .

(٢) Yatak: Op.cit, S 109 .

(٣) الفريش : تقع بين مكة والمدينة ، على مسافة ٤٨كم من المدينة ، البلادي ، مرجع سابق ٤٩/٧ .

(٤) جريدة القبلة ، عدد ٤٤ ، ٢٠ بتاريخ ربيع أول ١٣٣٥هـ ، ص ٢ .

(٥) Kandmir: Op.cit, S 66 - Yatak: Op.cit, S 71 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأخرى »[١] ، وبين من خلال هذه البرقية : أن القيادة العثمانية قد أخذت تشكك في قيادة فخري باشا ، الذي كان يلح كثيرًا بطلب الإمدادات لقواته ، في الوقت الذي كانت فيه القوات العثمانية في الجبهات الرئيسة في وضع لا يمكنها من إرسال أية إمدادات ، خاصة بعد سقوط العقبة بيد قوات الأمير فيصل بن الحسين في ١٥ رمضان ١٣٣٥هـ / ٦ تموز (يوليو) ١٩١٧م ، ويفهم من رد جمال باشا على تلك البرقية : أن أنور باشا اقترح أن يكون جمال باشا (الصغير) بديلاً لفخري باشا ، فقد جاء في برقية جمال باشا قوله : « إن عزيمة فخري باشا ومتانته هي بدرجة مرضية ، ولكنه لا يعي الوضع العسكري العام بصورة جيدة ، ولكني أريد أن أؤكد وجوب تغييره ، بالرغم مما يتمتع به من جرأة عظيمة ، أما بخصوص جمال باشا (الصغير) المرابط في مدائن صالح ، فنحن في أمس الحاجة إليه في تلك الجهات ، وأرجو أن تسند قيادة قوة الحجاز للعقيد (عصمت بك) قائد الفيلق السادس » .

ويبدو أن أحد الأسباب التي دفعت القيادة العليا إلى التفكير في عزل فخري باشا عن قيادة الحامية العثمانية في المدينة ربما يعود في أساسه إلى الخلافات السابقة والدائمة مع الشريف علي حيدر ، وبأن الشريف المذكور رفع تقريرًا حول ذلك إلى اسطنبول ، علمًا بأن القيادة العليا كانت قد بنت آمالاً عريضة على تعيين الشريف علي حيدر لإجهاض ثورة الشريف حسين ، فأرادت القيادة العثمانية أن تأتي بقائد جديد يكون على وفاق مع الشريف الجديد ، وأن بقاءه رمز سياسي للوجود العثماني في الحجاز ، فيدعم وجودها ، ويحافظ على هيبة الدولة في نفوس أهل الحجاز .

وعلى أية حال ، اقترح جمال باشا تعيين : (عصمت بك) قائد الفيلق السادس بديلاً عن فخري باشا ، ثم تراجع عنه لصغر سنه ، وقلة خبرته مقارنة بخبرة فخري باشا[٢] ، وبناء على ما تقدم **فإن أنور باشا اقترح تعيين أمير اللواء مصطفى كمال ، قائد الجيش الثاني ليكون قائدًا لحامية المدينة** ، وأن يكون فخري باشا قائدًا في قيادة الجيش الثالث ، وصدرت الأوامر لمصطفى كمال

(١) Kandmir: Op.cit, S 66 .

(٢) Yatak: Op.cit, S 1 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالتحرك إلى الشام تمهيدًا لاستلام منصبه الجديد ، حيث وصلها في ٢ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / ٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٧م ، وبعد يوم من وصوله اجتمع مع جمال باشا ، حيث تدارسا الأوضاع العسكرية في الحجاز ، وخلال ذلك اشترط مصطفى كمال شروطًا عدة مقابل توليه القيادة ، منها : أن تكون قيادة حامية المدينة مستقلة عن قيادة الجيش الرابع ، على اعتبار أن حامية المدينة أصبحت تمثل جيشًا قائمًا بذاته ، وبالتالي لا يمكن أن يكون قائد الجيش تحت إمرة قائد جيش آخر ، كما اشترط أن تمتد منطقة قيادته من المدينة إلى معان ، الأمر الذي لا يلزمه بأن يتخذ من المدينة مقرًا لقيادته .

وهكذا جعل مصطفى كمال أمر قبوله هذا المنصب مرهونًا بقبول هذه الشروط ، إلا أن جمال باشا أفهم مصطفى كمال بأن عليه تولي قيادة حامية المدينة ؛ لأن ذلك أمر عسكري غير قابل للنقاش[١] .

وفي أثناء المداولات بشأن تغيير قائد حامية المدينة برزت على السطح قضية مهمة تتعلق بوجود القوات العثمانية في الحجاز ذاتها ، وهي : **قضية سحب تلك القوات لكي يتم الاستفادة من إمكاناتها في جبهة الشام وفلسطين** ، والتي هي جبهة رئيسة يعتمد عليها مصير المركز العسكري للدولة العثمانية في المشرق ، وكانت هذه القضية قد أثيرت بناء على خطة اقترحها القادة الألمان ، وعلى رأسهم (فون ساندرس Von. Sandarss) الذي أصدر أمرًا في ضوء هذه الخطة بسحب حامية المدينة[٢] ، وكانت هذه الخطة قد أثارت جدلاً ونقاشًا بين القادة الألمان ؛ الذين كانوا يرون أن إخلاء المدينة أمر تفرضه الضرورة العسكرية ، بحسب ما أوضحه القائد الألماني (فون كرس) في خطابه الذي أرسله إلى جمال باشا قائد الجيش الرابع ، حيث قال فيه : « إن قادته قد اضطروا لاتخاذ هذا القرار بشأن جبهة الحجاز » .

وبما أن فخري قد تم إقصاؤه عن القيادة ، وتم تكليف أمير اللواء مصطفى كمال تنفيذ أمر إخلاء المدينة وسحب قواتها . بقيت بعدها مسألة مهمة أخرى ، وهي : الكيفية التي سيتم بها تنفيذ هذا القرار وتطبيقه على أرض الواقع .

---

(١) Yatak: Op.cit, S 67-77 .

(٢) جمال باشا الصغير ، كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب ، ص ١٣٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عندها بدأت المباحثات بين : أنور باشا ، القائد العام ، وجمال باشا قائد الجيش الرابع ؛ حيث أرسل أنور باشا برقية إلى جمال باشا يستفسر منه عن مدى جدوى الاستفادة من نقل قوات حامية المدينة إلى فلسطين ، وعما إذا كانت الأمور في جبهة فلسطين سوف تتحول لصالح القوات العثمانية ، كما استفسر أنور باشا عن أمور كثيرة ليس هذا مجال ذكرها .

وعقد اجتماع بين القادة في الجيش العثماني ، دارت المباحثات فيه حول الأوضاع في جبهة فلسطين وجبهة الحجاز[١] ، وخلال ذلك الاجتماع قدم علي فؤاد رئيس أركان الحرب في الجيش الرابع تحليلاً وافيًا حول الموضوع من خلال إثارته للنقاط التالية :

ضغط القوات البريطانية على جبهة سيناء ، واستعدادهم للهجوم على فلسطين يحتم دعم جبهة سيناء ، وفي الوقت ذاته فإن من الواجب أيضًا دعم جبهة الحجاز ؛ لمنع قوات الشريف حسين من التوسع شمالاً ؛ لأنه سوف يكون له أثر سلبي على جبهة فلسطين ، ولا يخفى أن نقل إمدادات الحجاز وإمدادات جبهة سيناء يتم على خط مشترك ، وبالتالي فإن نقل قوات الحجاز يعرقل وصول إمدادات جبهة سيناء ، مما يضعف جبهة فلسطين والمدينة في الوقت نفسه ، وفي هذه الحالة لم يبق أمام القوات العثمانية سوى خيارين : إما ضياع سيناء والحجاز ، أو التنازل عن المدينة ، وكان رأي علي فؤاد هو : اتخاذ قرار فوري بإخلاء المدينة ، ومن دون تردد[٢] .

وبالفعل ؛ أخذ أنور باشا وزير الحربية والقائد العام برأي علي فؤاد ، وصدر قرار إخلاء المدينة في جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / آذار (مارس) ١٩١٧م[٣] .

لكن مصطفى كمال ؛ القائد المعين لحامية المدينة رفض هذا القرار ، وقال : « أنا لا أخلي المدينة ما دام هناك قائد يتولى الدفاع عنها ، فعليه أن يخليها هو بنفسه » .

ونتيجة لموقف مصطفى كمال هذا ، **فإن القادة العثمانيين صرفوا النظر عن هذا القرار ؛ لما يكتنف تطبيقه من صعوبات** ، وبخاصة أن نقل القوات عبر السكة الحديدية ليس بالأمر الهين ، في ظل ما تتعرض له السكة من ضربات

(١) Kandmir: Op.cit, S 69 - Yatak: Op.cit, S 74 .
(٢) Yatak: Op.cit, S 75-76 .
(٣) Kiciman: Op.cit, S 90 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من قبل قوات الشريف حسين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن القوات العثمانية قد تواجه بهجوم معاكس في حالة انسحابها من المدينة من قبل بعض العناصر القبلية التي ظلت حتى ذلك الحين على ولائها للدولة العثمانية[١] ، ولهذه الأسباب فإن القيادة العثمانية لم تنفذ قرار سحب قوات حامية المدينة .

وعلى أية حال ؛ التقطت المخابرات البريطانية الرسالة التي أرسلتها القيادة العثمانية إلى قيادة قوة المدينة ، والمتضمنة أمر الانسحاب منها ، **فقام (كلايتون Calyton) رئيس المخابرات البريطانية بعمل إشارة لاسلكية إلى (لورنس) الذي كان في معسكر الأمير فيصل في الوجه ، يأمره بتكثيف عمليات تخريب سكة الحديد ؛ بهدف عرقلة حركة القوات العثمانية ، ومنع انسحابها**[٢] ، لذلك شرع (لورنس) بتخريب سكة الحديد بشكل مكثف ، ووضعت خطة هجومية لعزل (معان) وقطع الاتصال بينها وبين المدينة ؛ لإحباط مخططات القيادة العثمانية في الانسحاب من الحجاز ، وبالإضافة إلى ذلك فقد اتخذت السلطات البريطانية خطوات أخرى لمنع انسحاب حامية المدينة ؛ حيث تم نقل قاعدة الطيران من رابغ إلى ميناء الوجه ، نظرًا لأهمية موقعه ، وقربه من خط سكة الحديد ، كما أرسلت إمدادات إلى قوات الشريف حسين ؛ للمساعدة في عمليات قطع السكة[٣] .

وهكذا فإن قرار القيادة العثمانية بسحب قوات حامية المدينة ، وعلى الرغم من عدم تنفيذه ، كان له تأثير عكسي على القوات العثمانية في المدينة ، فقد كثف البريطانيون نشاطهم وهجماتهم على خط سكة الحديد ؛ الأمر الذي كان له أثر سلبي على وضع قوات حامية المدينة وإضعافها .

وفي الحقيقة ؛ فإن عدم تنفيذ قرار سحب القوات العثمانية من المدينة - في الوقت المناسب - للاستفادة منها في جبهة فلسطين ، يعد خطأً استراتيجيًا فادحًا[٤] ، فقد كان بإمكان القيادة العثمانية الاستفادة من هذه القوات في

---

(١) Kandmir: Op.cit, S 72 - Yatak: Op.cit, S 77 .

(٢) Baker, Randall: King Hussain and the Kingdom of Hijaz, P 133 .

(٣) عبد اللطيف الحميد ، الصراع العثماني البريطاني في البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى ، ص ٤١٠ .

(٤) الدنجتون ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جبهة فلسطين ، التي تشكل إحدى الجبهات الرئيسية للمواجهة مع الحلفاء ، وبخاصة بعد أن أصبحت معظم مدن الحجاز تحت سيطرة الشريف .

الاستيلاء على العقبة وأثره على حامية المدينة

كان استيلاء قوات الأمير فيصل على الوجه مشجعًا على الاستمرار في الزحف شمالاً ، والتقدم نحو العقبة ، وهي المرفأ المهم على البحر الأحمر ، حيث أرسل الأمير فيصل قوة من جيشه بقيادة الشريف ناصر بن علي ، يرافقه (لورنس) بصفته خبيرًا بالمتفجرات ، والشيوخ (عودة أبو تايه) شيخ الحويطات ، وكان هدف هذه القوة الاستيلاء على العقبة ، وقد بدأت رحلتها في ٩ أيار (مايو) ١٩١٧م ، بعد أن قطعت تلك المسافة الطويلة للوصول إلى هدفها في اجتياز الصحراء على الرواحل ، وفي أثناء سيرها استولت على بعض المواقع العثمانية ، ثم وصلت إلى ميناء العقبة ؛ واستولت عليه بمساندة الأسطول البريطاني في ١٥ رمضان ١٣٣٥هـ / ٦ تموز (يوليو) ١٩١٧م[١] .

ويعتبر الاستيلاء على العقبة أحد نقاط التحول الكبير في مسار الأحداث ؛ حيث انتقلت الحرب إلى ميدان آخر ، واتسع نطاقها ، وهذا ما كانت تهدف إليه السلطات البريطانية ؛ إشغال القوات العثمانية بجبهة الحجاز لتخفيف الضغط على قواتها في فلسطين ، حيث أصبحت بذلك قوات الأمير فيصل تشكل الجناح الأيمن للجيش البريطاني في غزة ، ولذلك فقد تم ربطه بالجيش البريطاني بقيادة الجنرال (اللنبي Allenbi) ، في حين أن ارتباطه الرمزي بقي بيد والده الشريف حسين[٢] ، ومن ناحية أخرى ؛ كان للاستيلاء على العقبة أثر في انضمام قبائل (الدروز) إلى ثورة الشريف حسين ، الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على وضع القوات العثمانية في فلسطين[٣] .

---

(١) محمد كردعلي ، خطط الشام ، ص ١٤٧ -١٤٨ .
(٢) العمري ، الطريق إلى دمشق ، ص ١٣٥ .
(٣) Yatak: Op.cit, S 112-113 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

انتقل الجيش الشمالي إلى العقبة ، واتخذ منها قاعدة لشن الهجمات على مختلف المواقع العثمانية ، ومحطات سكة الحديد ، حيث دارت معارك بين قوات الأمير فيصل (الجيش الشمالي) والحاميات العثمانية ، وكان من نتائجها : الاستيلاء على (الشوبك ودلاغة) ، والعديد من المواقع الأخرى[١] .

كما قام الجيش الشمالي بمهاجمة (معان) في رجب ١٣٣٦هـ / نيسان (أبريل) ١٩١٨م ، وبالرغم من عدم تمكنه من الاستيلاء عليها ، إلا أن هذه المعركة حققت نتائج مهمة استراتيجيًا ؛ حيث ازدادت التخريبات التي حدثت في محطة (المدورة) وإلى جنوبها ، وامتد هذا التخريب إلى مسافات بعيدة نحو الجنوب ، ونتيجة لذلك قطع الاتصال نهائيًا بين المدينة ومركز الجيش الرابع[٢] ، كما أن قوات الجيش الرابع بدأت بسحب قواتها إلى الشمال ، بعد أن تركت قوات ضعيفة للدفاع عن السكة[٣] ، وبذلك أصبحت المدينة في عزلة تامة ، وحصار محكم .

موقف ابن سعود وابن رشيد من حصار المدينة

خلال المواجهات الدائرة بين قوات المدينة بقيادة فخري باشا ، وقوات الشريف حسين ، حاول فخري باشا الاتصال بزعماء الجزيرة العربية بهدف حثهم على التعاون معه ضد الشريف حسين ، وسوف نشير أولاً إلى موقف الأمير عبد العزيز ابن سعود خلال حصار المدينة .

كانت سلطة الأمير عبد العزيز ابن سعود ونفوذه إبان الحرب العالمية الأولى تمتد من وادي الدواسر جنوبًا إلى حدود جبل شمر شمالاً ، ومعروف أنه قد لزم الحياد خلال تلك الحرب ، فلم يتعرض للشريف حسين في ثورته على العثمانيين ، وفي ذات الوقت لم يتعرض للعثمانيين ، بل ظل مواليًا لهم في الظاهر[٤] .

وبالرغم من الموقف السياسي الذي اتخذه ؛ فإن فخري باشا أخذ يراسله بهدف استمالته إلى جانب العثمانيين ، فطلب منه المساعدة لمحاربة الشريف حسين ،

---

(١) العمري ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
(٢) موسى ، الحركة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ -٣٠٦ .
(٣) Yatak: Op.cit, S 116 .
(٤) الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ٢٤٥/١ -٢٤٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأرسل رسالة إليه في شوال ١٣٣٦هـ / ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٨م وقد جاء فيها : « حضرة صاحب السعادة والي نجد وقائدها : عبد العزيز باشا ابن سعود ؛ قد استبشرنا أن المطاوعين (المطاوعة) الساكنين في وادي خورما (الخرمة) أخذلوا (خذلوا) عونة (أعوان) العاصي حسين ، وبأن حضرتكم ... لأجل فتح طريق مكة للإسلام وأداء فريضة الحج ... فأبارك لكم من صميم الفؤاد باسم الأمة الإسلامية ؛ أن تؤازروا هذه الحركة الجليلة ضد العاصي حسين ... الخ »[١] .

ويفهم من سياق هذا الخطاب **أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت تخاطب الأمير عبد العزيز بن سعود بصفته والي نجد وقائدها** ، على اعتبار أنه تابع للسلطان العثماني ، وبأن فخري باشا كان يحاول حثه على التعاون مع القوات العثمانية وإمدادها بالمساعدات اللازمة[٢] .

ومع اشتداد وطأة الحصار على الحامية العثمانية في المدينة ، أخذ فخري يرسل إلى الأمير عبد العزيز بن سعود ، يطلب منه الإمدادات والمساعدات العسكرية ، مستغلاً تدهور العلاقات بين الأمير عبد العزيز بن سعود والشريف حسين حول قضية الحدود بين الطرفين ، كما هو واضح من خلال تلك البرقيات والرسائل ، والمؤرخة جميعًا ما بين ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م و ١٣٣٧هـ / أواخر ١٩١٨م .

وفي الرسالة الأخيرة التي أرسلها فخري باشا إلى ابن سعود يستعطفه فيها ويطلب منه المساعدة ، ويتضح من سياقها أن الأمير عبد العزيز ابن سعود قد رد على رسائله ، وهذا ما يتضح من قول فخري باشا : « ولسوف أعمل وفقًا للأوامر التي بعثتم بها في خطاباتكم »[٣] .

وتذكر إحدى المصادر التركية : أن فخري باشا أرسل ثلاث رسائل إلى عبد العزيز بن سعود ، وأنها قد اتخذت طابعًا سريًا تامًا[٤] ، وهذا يتعارض مع ما ذكره (فلبي) في تقريره ، من أن الأمير عبد العزيز بن سعود قد أطلعه على ثلاث

---

(١) انظر نص الخطاب ، الزركلي ، المرجع السابق ٢٤٥/١ -٢٤٦ .

(٢) الزركلي ، مصدر سابق ٢٤٥/١ -٢٤٦ .

(٣) خطاب موجه من قائد قوات المدينة إلى أمير نجد وقائدها عبد العزيز بن سعود بتاريخ صفر ١٣٣٧هـ ، دارة الملك عبد العزيز ١/٢ -٧٣ .

(٤) Kiciman: Op.cit, S 334-335 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رسائل موجهة من فخري إليه[١] ، ويبدو أن (فلبي) قد قام بإعلام السلطات البريطانية بما يدور من مراسلات فخري باشا والأمير عبد العزيز بن سعود .

وهناك رسالة بعث بها (ونجت) إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ / ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م ذكر فيها : أن فخري باشا قد تسلم برقية من الأمير عبد العزيز بن سعود ، يبارك فيها دفاعه عن المدينة ، ولكن تاريخ الرسالة يثير التساؤل ؛ إذ إنها أرسلت بعد أن كانت الدولة العثمانية قد استسلمت قبل هذا التاريخ ببضعة شهور ، وأن فخري باشا قد استسلم شخصيًا بنفس التاريخ المذكور في هذه الرسالة .

أما ما ذكر من أن أحد ضباط المخابرات البريطانية ، والذي كان قد زار نجدًا وكتب تقريرًا ، نفى فيه وجود أية اتصالات بين فخري باشا والأمير عبد العزيز بن سعود[٢] ، فهذا يتعارض مع ما توفر لدينا من مستندات ووثائق .

وعلى أية حال ؛ **فإن الأمير عبد العزيز بن سعود لم يقدم أية مساعدات لفخري باشا ، وظل على حياده** .

أما الأمير سعود بن رشيد ؛ فقد سبق أن ذكرنا بأنه كان مواليًا للدولة العثمانية ، وعونًا لها منذ بداية الحرب العالمية الأولى ، وحتى نهايتها ، لذا فإن **القوافل التموينية كانت تنطلق من قاعدته في حائل صوب المدينة** ؛ لمساندة الحامية العثمانية فيها ، ولم يقتصر دور ابن رشيد على الإمداد والتموين فحسب ، بل تعداه إلى المساندة الحربية ، وهذا ما تؤكده الوثائق ، حيث أبدى ابن رشيد استعداده للمشاركة في محاربة الشريف حسين ، وذلك في برقية أرسلها إلى القيادة العثمانية ، وتلقى الرد عليها من أنور باشا ، الذي شكره فيها على تعاونه معهم[٣] .

---

(١) سات جون فلبي ، بعثة إلى نجد (١٣٣٦ -١٣٣٧هـ/١٩١٧ -١٩١٨م) ، ص ٢٠٩ .

(٢) Salehi, Sonyel: Ingiz Belgelrnie Gore Medine Mudfee Fahrddin Pasa, Belleten, . 141-144, S 354

(٣) موسى ، المراسلات التاريخية ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ -١٠٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقامت قوات ابن رشيد بالاشتباك مع قوة من الجيش الشرقي ، الذي يقوده الأمير عبد الله بن الحسين ، بالقرب من تيماء في ذي القعدة ١٣٣٥هـ / أيلول (سبتمبر) ١٩١٧م[١] ، كما اشتبكت مرة أخرى مع قوة من الجيش الشرقي بالقرب من محطة أبي النعم في عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م ؛ وانتهت المعركة بهزيمة ابن رشيد ، ولم يقتصر الأمر على هذه المناوشات الجانبية ، بل إن القيادة العثمانية دعت ابن رشيد لمهاجمة مكة ، فاستجاب لهذا الطلب ، ولكنه لم يحقق نتيجة تذكر ، فكان من الطبيعي أن تقلل المساعدات التي قدمتها لابن رشيد ، حيث ذكر أنور باشا : أن ابن رشيد لم يقم بما هو مطلوب منه ؛ من حماية أجزاء خط سكة الحديد ، باستثناء هجومه على تيماء[٢] ، **مما يعني أن القيادة العثمانية كانت تبني آمالاً ، إلا أنه خيب آمالها** ؛ مما حدا بالمصادر التركية أن تَعُدَّ ابن رشيد عبئًا ثقيلاً على الحامية العثمانية في المدينة ، بما كلفها من الأموال والذخائر[٣] ، وتعود هذه النظرة إلى تراجع الثقة بين الأتراك والعرب ، فقد أصبح الأتراك ينظرون للعرب على أنهم ليسو أهلاً للثقة ، وليس لهم هدف سوى الحصول على المال ، إلا أن واقع الأمر ؛ أن ما كان يشغل ابن رشيد هو الخطر الذي يتهدد إمارته من قبل الأمير عبد العزيز بن سعود أكثر مما يتهدده من الشريف حسين .

على أية حال ؛ فقد **كان لابن رشيد دور لا يمكن تجاهله في دعم صمود حامية المدينة عن طريق إمدادها بالمؤن** ، بعد انقطاع صلتها بالشمال .

الأوضاع داخل المدينة في ظل الحصار

بعد قطع سكة حديد الحجاز في مواضع عديدة ، أصبحت صلة المدينة بالشمال شبه مقطوعة ، نتيجة لذلك ؛ فإن حامية المدينة العسكرية أصبحت تواجه وضعًا سيئًا للغاية ، ولعل أبرز مشكلة واجهتها حامية المدينة : مشكلة التموين والإعاشة والوقود ، حيث أخذت المؤن بالتناقص ، ولم تعد تفي بحاجات الجنود ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمراض بينهم ، كمرض

(١) موسى ، الحرب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .
(٢) موسى ، الحركة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .
(٣) Kiciman: Op.cit, S 122 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(الأسقربوط) (نقص التغذية) إضافة إلى انتشار الحميات المختلفة ، مما أدى إلى ارتفاع عدد الوفيات بين الجنود ، وهبوط المعنويات ، وبذلك ضعفت القوة العسكرية للحامية[١] ، **ورغم ذلك فقد ظل فخري باشا متمسكًا بالدفاع عن المدينة** ، حيث أخذ يرسل البرقيات إلى قيادة الجيش الرابع ، في محاولة للحصول على الإمدادات لمواجهة هذه الظروف الصعبة التي تعيشها الحامية في المدينة ، إلا أن قيادة الجيش الرابع كانت في وضع لا يمكنها من إرسال أي شيء ؛ لظروف الحرب في جبهة الشام ، وصعوبة المواصلات إلى المدينة[٢] ، ولذلك فقد اتخذ فخري باشا عددًا من التدابير لمواجهة الحصار وأزمة المؤن من خلال عدة نواح :

١ - طلب المؤن والإمدادات من شيوخ القبائل الذين ظلوا على ولائهم للدولة العثمانية ؛ كابن مبيريك[٣] .

٢ - محاولة شراء المواد الغذائية من القبائل القاطنة حول المدينة ، إذا نجت قوافلها من عساكر الشريف ، حيث كان جنود الشريف يترصدون القوافل ويستولون عليها .

٣ - وفي محاولة للتغلب على صعوبة المواصلات مع الشمال ، فقد تم إنشاء قاعدة جوية في تبوك ، بهدف طلب الإمدادات من جبهة فلسطين ، إلا أن ذلك لم يجد شيئًا .

أما فيما يخص التدابير الداخلية ، التي أخذها فخري باشا لمواجهة أزمة المؤن فهي :

١ - تشجيع الزراعة ، والمحافظة على إنتاج التمر ، حيث تحفظ على محصول التمر ، ومنع الإسراف في أكله ، أو ما يؤدي إلى انخفاض مخزونه .

---

(١) Kiciman: Op.cit, S 233 - Yatak: Op.cit, S 115-128 .

(٢) Kandmir: Op.cit, S 135 .

(٣) رسالة من فخري باشا إلى ابن مبيريك يطلب منه فيها عشرين ألف جنيه ، وثيقة عثمانية بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٣٣٤ رومي ، مجموعة وثائق الباحث فايز الحربي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢ - شجع جنوده على أكل الجراد ، والذي لم يعتادوا عليه سابقًا ، بديلاً عن اللحم[١] .

٣ - عمل على نقل الجنود المرضى والضعفاء ، الذين لا فائدة من وجودهم إلى بلاد الشام ، وذلك قبيل اشتداد وطأة الحصار على الحامية ، وانقطاع صلة المدينة بالشام .

ورغم ذلك فقد أخذت أزمة المؤن بالتفاقم شيئًا فشيئًا ، حتى لجأ الجنود إلى أكل العشب بديلاً عن الطعام ، كما أخذت أعلاف الحيوانات التي يستخدمها الجيش بالتناقص[٢] ، يضاف إلى ذلك قلة مواد الوقود ، التي تستخدم في تسيير القاطرات ، وإمداد الطعام ، التي كانوا قد اعتادوا الحصول عليها من القبائل التي تقوم بإحضارها إلى المدينة .

ونتيجة لهذه الظروف السيئة ، فإن بعض الجنود بدؤوا بالهروب من المدينة ، واللجوء إلى قوات الشريف حسين التي تحيط بها ، ونتيجة لتزايد حالات الهرب بين الجنود ، فقد شددت العقوبة على من يتم القبض عليه يحاول الهرب أو يُحَرِّضُ عليه ، وألغى تصاريح الغياب التي تمنح لبعض الجنود والضباط . ولتشجيع الجنود على البقاء في المدينة أنشأ فخري باشا سجلاً سمي :(سجل أحباء الحجاز) ، وفيه أخذ العهد على الجنود بالبقاء في المدينة حتى النهاية ، وفي محاولة منه لتهدئة نفوس الجنود وتقوية عزائمهم ، وإلهائهم عن التفكير بما هم فيه من وضع ميؤوس منه ، عمل على إشغالهم بالبناء والتعمير ، وشق الطرق ، والزراعة ، وحفر الآبار[٣] .

لم تقتصر الآثار السيئة للحصار على القوات العسكرية فحسب ، **بل امتدت آثارها السيئة إلى سكان المدينة نفسها ، حيث تكبدوا المشاق والعناء من جراء ذلك ، لا سيما تناقص الغذاء ، وارتفاع أسعاره إلى درجة كبيرة ، فقد وصلت الأسعار إلى درجة مرتفعة ؛ بحيث أصبح ثمن كيس من الأرز يعادل قطعة أرض ، أو قيمة دار** ، حيث قيل : إن شخصًا باع منزله بكيس واحد من الأرز[٤] كي

(١) Kiciman: Op.cit, S 195-197 .

(٢) Kiciman: Op.cit, S 101 .

(٣) Kiciman: Op.cit, S 158 .

(٤) محمد حسين زيدان ، ذكريات العهود الثلاثة ، ص ٩٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يقي نفسه وأسرته من الموت المحتم ، حتى إن المجاعة بلغت إلى الحد الذي لجأ فيه الناس لأكل الحيوانات النافقة[1] . نتيجة لهذه الظروف القاسية ؛ لجأت كثير من الأسر إلى مكة ، وبعضهم هاجر إلى الشام ، كما قام بعدها جنود الحامية بترحيل سكان المدينة إلى الشام .

كان من الطبيعي أن تنعكس آثار الهجرة الواسعة للسكان من المدينة على الحياة الاقتصادية فيها ، حيث توقف النشاط التجاري ، وحركة البيع والشراء ، وأغلقت المحلات التجارية بعد أن خلت من البضائع ، أما من الناحية الزراعية فقد أهملت البساتين ؛ مما أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي ، وقلة المحاصيل ، بسبب هجرة المزارعين والفلاحين .

وبالرغم من قسوة هذه الأوضاع والظروف التي عاناها سكان المدينة ، فإن فخري باشا أخذ يستعمل معهم الشدة والقسوة ، وهكذا نجد أن آثار الحصار ، وعناد فخري باشا على المقاومة والصمود بشتى الطرق قد حوَّل المدينة إلى منطقة شبه مهجورة .

هزيمة الأتراك في الحرب

بعد أن تولى الجنرال (اللنبي) قيادة القوات البريطانية المرابطة بمصر ، والتي تعتزم مهاجمة فلسطين وبلاد الشام ، سعى للاستفادة من سقوط العقبة في يد قوات الأمير فيصل بمساندة القوات البريطانية ، فقام بالهجوم على خط (غزة - بئر السبع) في ١١ محرم ١٣٣٦هـ / ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧م ، حيث بدأ بقصف مركز على الشاطئ بواسطة مدفعية السفن البريطانية ، أعقبه هجوم الجيش البري ، البالغ عدده حوالي عشرة آلاف جندي ، في الوقت الذي كان عدد قوات العثمانيين حوالي ثمانية آلاف جندي ، وفي حالة سيئة من التنظيم ، وعلى درجة كبيرة من الإنهاك والتعب ، لهذا قرر القائد الألماني (فون كرس) سحب القوات العثمانية إلى خط الدفاع الثاني : (يافا - القدس) ، فسقطت بذلك غزة في الشهر نفسه ، وأعقب سقوطها تقدم الجيش البريطاني على

(١) عبد الباسط بدر ، تاريخ المدينة المنورة الشامل ، ص ٧١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الطريق الساحلي ، واستولى على يافا ، ثم استولى بعدها على القدس ، بعد أن انسحب القائد الألماني (فون كهاين) في ٢٦ صفر ١٣٣٦هـ / ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧م[١] .

أخذ الأتراك نتيجة لهذه الهزائم المتكررة التي منوا بها يسعون للصلح مع الشريف حسين ، فقد أرسل جمال باشا قائد الجيش الرابع العثماني رسالة إلى الأمير فيصل بن الحسين في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧م يطلب منه الانضمام إلى الدولة العثمانية ، مقابل إعلان العفو العام عمن قاموا بالثورة وشاركوا فيها ، وإعادة التفاوض لحل القضية العربية حلاً مرضيًا لجميع الأطراف ، كما بعث برسالة أخرى إلى جعفر العسكري ، يطلب منه الاتصال به في محاولة استمالته إلى جانب الدولة العثمانية .

أثار التحرك العثماني مخاوف السلطات البريطانية ، من أن تنجح السلطات العثمانية في استغلال العاطفة الدينية لدى العرب ، واستمالتهم إلى جانبها ؛ لذا **اقترحت السلطات البريطانية على الشريف حسين تجاهل أمر هذه الرسائل** ، وفي إثر ذلك بعث الشريف حسين برسالة إلى الأمير فيصل في ٢ شباط (فبراير) ١٩١٨م يشدد عليه رفض جميع طلبات جمال باشا في أي موضوع ، فليس بين العرب والعثمانيين إلا السيف[٢] .

توالت الهزائم على الجيش العثماني في مختلف الميادين والجبهات ، فما إن حلت سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م حتى كانت القوات العثمانية في الحجاز قد طردت من جميع مدنها عدا المدينة[٣] ، أما القوات البريطانية فكانت تعد العدة لتنفيذ خطة الهجوم الشامل ، بعد فشل محاولتها الأولى لاحتلال عمان ، ووفقًا لهذه الخطة استعان الجنرال (اللنبي) بقوات الأمير فيصل ، التي هي بمثابة الجناح الأيمن لجيشه ، بعد أن استكمل تجهيزها بما يلزم من أسلحة وعتاد ومؤن وغير

(١) عمر الديراوي ، الحرب العالمية الأولى ، ص ٥٠٠ -٥٠١ .
(٢) موسى ، المراسلات التاريخية ١٥٩/١ .
(٣) الديراوي ، مرجع سابق ، ص ٥١١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ذلك ، وكلفها بالهجوم على (درعا) من الخلف ، لقطع خطوط مواصلات القوات العثمانية قبيل هجوم القوات البريطانية ، وفعلاً بدأت قوات الأمير فيصل هجومها قبل ثلاثة أيام من هجوم القوات البريطانية ، حيث أعقبها مواصلة الهجمات إلى أن تم لها احتلال دمشق في ٢٤ ذو الحجة ١٣٣٦هـ / ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩١٨م[١] ، وهكذا تمكنت القوات البريطانية وقوات الأمير فيصل من هزيمة القوات العثمانية ، وإجبارها على الانسحاب من بلاد الشام .

وفي الوقت نفسه استولت البحرية البريطانية على المضايق العثمانية ، وأخذت تهدد بضرب اسطنبول نفسها ، مما أرغم العثمانيين على توقيع هدنة (رودوس) مع الحلفاء بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٣٧هـ / ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨م على أن يبدأ العمل بها في اليوم التالي لتوقيعها ، وبذلك انتهت رسميًا الحرب العالمية الأولى[٢] .

استسلام حامية المدينة

نصت المادة السابعة من هدنة (رودوس) والموقعة بين الحلفاء والدولة العثمانية على وجوب استسلام جميع الحاميات العثمانية في الحجاز ، وعسير ، واليمن ، والشام ، والعراق ، إلى أقرب قائد لقوات الحلفاء ، **لكن فخري باشا ظل متمسكًا بالدفاع عن المدينة ، رافضًا الإذعان للهدنة التي وقعتها حكومته مع الحلفاء** ، وأرسل الشريف حسين رسالة إلى فخري باشا يدعوه فيها للاستسلام ؛ إذ ليس هناك من سبب يدعوه للبقاء في المدينة ، لا سيما بعد انقطاع مواصلاتها في الشمال ، وهزيمة القوات العثمانية في فلسطين ، لكن فخري باشا رفض هذا الطلب ، وظل متمسكًا بموقفه[٣] ، كما أن السلطات البريطانية حاولت من جانبها أن تضغط على فخري باشا ، حيث أرسل (ونجت) - المندوب السامي بمصر - إلى فخري رسالة يدعوه فيها إلى

(١) صبحي العمري ، الطريق إلى دمشق ، ص ٣١٢ -٣١٧ .
(٢) موسى ، الحركة العربية ، ص ٣٢٧ .
(٣) موسى ، الحركة العربية ، ص ٣٢٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الاستسلام لقوات الشريف حسين ، بموجب نصوص الهدنة الموقعة مع حكومته[١] ، ثم تلا ذلك قيام المعتمد البريطاني في الحجاز بإرسال برقية إلى فخري باشا ، يبلغه فيها بشروط الهدنة ، ويطلب منه تنفيذ بنودها ، حيث إن العمل قد بدأ بها رسميًا منذ ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨م ، **لكن فخري باشا ظل متمسكًا بموقفه ، محتجًا بأنه لم يتلق تبليغًا رسميًا من حكومته بهذا الخصوص**[٢] ، عندئذ مارست السلطات البريطانية ضغوطًا قوية على حكومة اسطنبول بلغت حدود التهديد ، فأرسل أحمد عزت باشا (رئيس الوزراء) برقية إلى فخري باشا يبلغه فيها بأمر الهدنة وما تنص عليه من استسلام جميع القوات العثمانية ، وذلك في ٢ صفر ١٣٣٧هـ / ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨م ، **إلا أن فخري تجاهلها أيضًا ؛ لكونها وصلت إليه عن طريق السلطات البريطانية ، التي يمكن أن تكون خدعة** منهم لإجباره على التسليم[٣] ، و استمر على موقفه الرافض للتسليم .

لما رأت السلطات البريطانية إصرار فخري باشا على موقفه ؛ أعطته مهلة خمسة عشر يومًا لتسليم المدينة ، وإلا فإن قوات الشريف حسين سوف تقوم بمهاجمته ، وتم إبلاغ هذا الأمر إلى فخري باشا في ٣ صفر ١٣٣٧هـ / ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨م ، ورغم ذلك **فقد رفض التسليم إلا بأمر السلطان شخصيًا**[٤] ، عند ذلك أرسلت السلطات البريطانية إلى السلطات العثمانية في اسطنبول تحثها على إرسال الأوامر المكتوبة والمصدقة إلى فخري باشا[٥] .

استجابت السلطات العثمانية لهذا الطلب ، وأرسلت الرائد ضياء إلى المدينة ، حاملاً معه أوامر وزارة الحربية إلى فخري باشا بالتسليم . وقبل وصول الرائد ضياء إلى المدينة ، وقعت بيد المخابرات البريطانية ثلاث رسائل موجهة من فخري باشا ؛ اثنتان منها موجهتان لوزارة الحربية ، أما الثالثة فهي موجهة لرئيس

---

(١) رسالة من المندوب السامي بمصر ، بتاريخ سبتمبر ١٩١٨م ، المصدر : Kandmir .
(٢) رسالة من المعتمد البريطاني في الحجاز بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩١٨م ، المصدر : Kandmir .
(٣) Yatak: Op.cit, S 130 .
(٤) Yatak: Op.cit, S 141 .
(٥) موسى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوزراء ، وقد أوضح فخري باشا في رسائله أنه لا يثق بالأوامر التي تصدر عن طريق السلطات البريطانية ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يعتبر المدينة مستقلة عن القيادة العثمانية ، ولذلك لا تنطبق عليها شروط الهدنة ، وقد وقع فخري باشا هذه الرسائل بصفته الحاكم العسكري للمدينة ، وليس بصفته قائد حامية المدينة[١] .

زادت السلطات البريطانية من ضغوطها على السلطات العثمانية بعد اطلاعها على فحوى هذه الرسائل ، **وهددت بتدمير اسطنبول وما حولها إذا لم يتم تسليم المدينة** ، وأمرت أن يبلغ هذا التهديد إلى فخري باشا أيضًا بواسطة الرائد ضياء ، الذي وصل إلى المدينة في ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ / ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨م ، وأبلغ فخري باشا أوامر وزير الحربية بخصوص وجوب استسلامه ، إلا أن فخري باشا أصر على موقفه ، وأعلن أنه لن يستسلم إلا إذا جاءته أوامر من السلطان نفسه[٢] .

ونتيجة لاستمرار فخري باشا على عناده ، وإصراره على عدم التسليم ، ظهرت بوادر التذمر والاستياء بين جنود الحامية العثمانية ، خاصة بعد أن انتشر بينهم خبر استسلام حكومتهم ، بالرغم من حجب هذا الخبر عنهم ، وزادت حالات الهروب بين الجنود ، حتى إن وحدات وسرايا بأكملها أخذت تسلم نفسها إلى قوات الشريف حسين[٣] ، ووصل الأمر بالجنود إلى تنظيم حركة تمرد ضد فخري باشا لإجباره على التسليم ، تزعم هذه الحركة أمين بك ، قائد اللواء الثاني والأربعين ، ونشر المتمردون بيانات تحث على الاستسلام للحلفاء ، تنفيذًا لبنود الهدنة ، كما قامت مجموعة أخرى من الضباط بمحاولة لإقناع فخري باشا بالاستسلام ، وقبول مفاوضات الصلح مع الشريف حسين ، إلا أن فخري باشا رفض ذلك ، وفي ١ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ / ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م غادر المدينة أمير اللواء نجيب بك ، وبصحبته عدد من الضباط إلى (بير درويش) للتباحث مع الأمير علي بن الحسين بشأن التسليم ، وفي الوقت نفسه أصدر

---

(١) Salahi: Op.cit, S 300 .

(٢) Salahi: Op.cit, S 343 .

(٣) Yatak: Op.cit, S 146-147 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فخري باشا بيانًا أعلن فيه : تعيين نجيب بك قائدًا للحامية وأنه شخصيًا سوف يتوجه إلى (بير درويش) ، إلا أنه بدلاً من ذلك توجه إلى المسجد النبوي ، واعتصم فيه ، رافضًا الخروج والتسليم ، مهددًا بتفجير نفسه داخل المسجد ، فأدرك الضباط بأن قائدهم فخري باشا فقد توازنه العقلي ، مما فع بهم إلى تسلم السلطة وإجباره على الخروج إلى الأمير علي بن الحسين في (بئر درويش) ، وذلك في ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ / ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م[١] ، وقد عامله الأمير علي باحترام كبير ، وأرسل معه مجموعة من الجنود إلى ينبع ، حيث غادرها إلى معسكر الاعتقال في مصر ، ثم في مالطا .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن السلطات العثمانية أرسلت كلاً من (حيدر منلا) وزير العدل ، والأميرلاي أحمد بك وزير الحربية ، يحملان الأمر السلطاني الموجه إلى فخري باشا بخصوص وجوب استسلامه ، إلا أن الوفد وصل بعد استسلام فخري باشا ، حيث كان وصوله في ١١ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ / ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م[٢] ، **ويتضح من ذلك أن فخري باشا لم يستسلم إلا بعد توقيع هدنة (رودوس)** بثلاثة أشهر .

وباستسلام المدينة انتهى الحكم العثماني في الحجاز ، والذي دام لأكثر من أربعة قرون ، وبدأت صفحة جديدة من تاريخها الحديث .

الأسباب التي أدت إلى تأخر قوات الشريف حسين في الاستيلاء على المدينة

اختلف المؤرخون في تفسير الأسباب التي أدت إلى تأخر قوات الشريف حسين في الاستيلاء على المدينة ، ويرى عدد من المؤرخين العرب أن تأخر قوات الشريف حسين في الاستيلاء على المدينة منذ بداية الثورة يرجع إلى : تقصير السلطات البريطانية في إمداد القوات العربية بالسلاح ، لاسيما قوات (الجيش الشرقي) وقوات (الجيش الجنوبي) ، والتي تولت حصار المدينة[٣] .

---

(١) Kiciman: Op.cit, S 377-379 .

(٢) Yatak: Op.cit, S 143 .

(٣) موسى ، الحركة العربية ، ص ٣٣١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وللوقوف على حقيقة هذا الرأي لا بد من معرفة حقيقة الموقف البريطاني من الاستيلاء على المدينة ، فكما يذكر (لورنس) : أن الاستيلاء على المدينة **لم يكن هدفًا استراتيجيًا للقوات البريطانية** ، حيث إن وجود القوات العثمانية في المدينة لا يشكل خطرًا على القوات البريطانية ، كما أن وقوع القوات العثمانية في الأسر سيكون مكلفًا جدًا للسلطات البريطانية[١] ، بالإضافة إلى ذلك فإن السلطات البريطانية ترى ضرورة الاحتفاظ بالقوات العثمانية في المدينة ، حتى لا تتمكن السلطات العثمانية من الاستفادة منها في ميادين الحرب الأخرى ، لا سيما ميداني الشام وفلسطين[٢] .

وقد حاولت السلطات البريطانية إشغال قوات الشريف حسين في الحرب حول المدينة وحصارها ؛ لأن سقوطها بيد الشريف حسين في وقت مبكر سوف يدفع بمعظم قوات الشريف حسين للتوجه شمالاً ، وهذا ما لا تريده السلطات البريطانية[٣] .

ومن خلال هذا العرض للموقف البريطاني يتضح : **أن السلطات البريطانية كانت ضد الاستيلاء على المدينة في وقت مبكر ، وبذلك فإن إطالة الحصار كان في مصلحتها** .

ومهما يكن من أمر فإن هناك أسبابًا أخرى غير ذلك ، وهي ارتباط المدينة بخط سكة الحديد ، الأمر الذي سهل وصول الإمدادات إلى حاميتها بوقت أسرع ، ومدة أقصر[٤] ، مما ساعد على بقائها محاصرة لمدة طويلة ، وعلاوة على ذلك فإن مكانة المدينة الدينية في نفوس المسلمين ، وانتماء أسرة الشريف حسين للرسول ﷺ دفعت به إلى التريث في الاستيلاء عليها وعدم اللجوء إلى ضربها بالمدفعية ، بل اللجوء إلى حصارها والتضييق عليها ، لحملها على

---

(١) لورنس ، الثورة العربية ، ص ٤٢ .

(٢) Kedourie: Op.cit, S 142 .

(٣) عن اتفاقية التسليم المعقودة بين فخري باشا والأمير علي بن الحسين انظر : الموصلي ، مصدر سابق ١/٢٥٢ - ٢٥٥ .

(٤) Goulsy: Hicaz Dmirlyau, S 241 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الاستسلام ؛ لأن اقتحامها بالقوة سيتولد عنه آثار سيئة في نفوس المسلمين ، وعلى سمعته شخصيًا[١] .

هذه الأسباب التي ربما يكون لها دور في بقاء المدينة محاصرة لمدة طويلة ، أما الأسباب التي جعلت فخري باشا يرفض الاستسلام حتى بعد توقيع حكومة اسطنبول هدنة (رودوس) ويصمم على الدفاع عن المدينة حتى آخر قطرة من دمه ، **فهي أن المدينة تمثل رمزًا دينيًا له أهميته في نفوس المسلمين ، وأنه يريد المحافظة عليها وعلى هيبة دولته ، حتى وهو في أسوأ حالات الضعف** .

(١) Salehi, Sonyel: Ingiz Belgelrnie ciore Medine Mudfee Fahrddin Pasa, Belleten, 141-144, S 363